الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الحاج لخضر باتنة.

كلية الآداب واللغات.

قسم اللغة العربية وآدابها.

جهود " محـــمد مرتاض " فـــــي الأدب والنقد

بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه علوم

إعداد الطالبة:
فاطمة قاسمي

إشراف:
د. إدريس بن خويا

لجنة المناقشة

د / جـمال سعادنة	جامعة باتنة	رئيـــساً
د / إدريس بن خويا	جامعة أدرار	مشـرفاً ومقرراً
د / مـــــليكة النوي	جامعة باتنة	منـــــاقشة
د / لـــــزهر فـــارس	جامعة تبسة	منـــــاقشاً
د / متقـــدم الجابري	جامعة باتنة	منـــــاقشاً
د / حيـــــاة معاشي	جامعة بسكرة	منـــــاقشة

السنة الجامعية: 1435/1436هـ -2015/2016م

9 B/2 MASTER

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ(1) الرَّحْمَنِ

الرَّحِيمِ (2) مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ(3)إِيَّاكَ

نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ(4) اهْدِنَا الصِّراطَ

الْمُسْتَقِيمَ (5) صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ

عَلَيْهِمْ(6) غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا

الضَّالِّينَ (7)

(صـــدق الله العظـيم)

||~ الإهـــــــداء ~||

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)

صدق الله العظيم

اهدي هذا العمل مع خالص امتناني إلى والدتي العزيزة ، الغالية بارك الله في أيامها

وإلى روح والدي رحمة الله عليه ،ربي اغفر لي ولوالديَ وارحمهما كما ربياني صغيرا.

وإلى ابني الذي لم أستجب لمناغاته لانشغالي بالأطروحة.

وأهدي عملي هذا إلى رفيق دربي زوجي العزيز و إخوتي :

محمد و عبد الكريم .

و إلى كل طالب ، و محب للعلم .

فاطمة

كلمة شكر وتقدير وامتنان :

اللهم لك الحمد والشكر على كل الآلاء والجود والكرم .

ثم أتقدم بكل احترامي ، وخالص شكري و تقديري إلى الأستاذ

المشرف الدكتور "إدريس بن خويا "

كما أشكر كل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي بجامعة أدرار.

وأشكر كل من ساعدني من أجل إنجاز هذا العمل .

فاطمة

مقدمة

إن التجربة الادبية والنقدية عند محمد مرتاض لها أهمية كبيرة ، لأنها تجربة فنية ،جديدة على الساحة الجزائرية ،إنها لتجربة تستحق فعلاً الاهتمام والعناية والتمحيص والدراسة .

والإشكالية التي أعمل على الإجابة عليها عبر هذه المسيرة من البحث تتمثل في ملامح ومعالم وقسمات وتقاسيم الدرس الادبي عنده ، ويمكن تلخيصها في الأتي :

- ما معالم التجربة الأدبية عند الكاتب ؟

أما الإشكالية الثانية التي يعالجها العمل هي أثار الدرس النقدي عنده ، ويمكن تلخيصها في الآتي :

- هل أعماله هي وثيقة نقدية ، حضارية ، فكرية ، ثقافية ؟

أما عن الهدف الذي أسعى لتحقيقه من خلال هذه المسيرة العلمية ، هو تسليط الضوء على جهود الكاتب الأدبية ،والتجربة النقدية عنده .

أحسب أهمية هذا الموضوع الذي أطرقه تتمثل في أنه جديد من حيث الفكرة والطرح .

ولعل من أسباب إختياري للموضوع ،هو أنه يلامس شيئاً من هذا وذاك ،وأظنه ميلي وحبي للدرس الأدبي والنقدي في الجزائر .

وإن من الصعوبات العلمية هي محاولة إثباته ككاتب ، وفي نفس الوقت محاولة إثباته كناقد.

وإن خطة هذا البحث كانت كالآتي :

مقدمة : جمعت فيها عناصر البحث .

الفصل الأول: تناولت فيه موضوعات ومحاور رواية " ثمن الحرية" من ذلك : قصة الإنسان الجزائري مع الأرض والالتزام العميق بتحرير الوطن .

وأيضاً إدراك الإنسان الجزائري ونضج تفكيره يسلمه لحياة الحرية .

ثم فنيات رواية ثمن الحرية من الآتي :

الاحداث ، ثم الشخصيات ،فاللغة السردية ، وأخيراً الزمن والمكان .

ومن مميزات رواية ثمن الحرية والذي يضم تفاعل مضمون رواية ثمن الحرية مع البناء الفني ، وتميز اللغة الروائية .

وعرضت بعد ذلك موضوع رواية وأخيراً تتلألأ الشمس ، وعالجت فيها المجتمع ،ووعيه بالواقع الوطني ،ثم القضية الوطنية ، وعرجت على عنوان رواية وأخيراً تتلألأ الشمس ، وأحداثها وشخصياتها.

ووقفت على رواية وأخيراً تتلألأ الشمس حيث حللت فيها اللغة السردية والزمن والمكان .

وأخيراً ختمت الفصل الأول بخصائص الخطاب الروائي لدى الكاتب ، وعالجت فيه المضمون ، وذاكرة التاريخ ، وعرجت على صورة الوطن ، والثورة في الروايتين .

وعرضت أيضاً الشكل والأشكال السردية ،وبعدها خصائص الاشكال السردية في وأخيراً تتلألأ الشمس و ثمن الحرية ،إذ ركزت في ذلك على التقنيات السردية من ذلك : الأوجه السردية وسرعة السرد .

الفصل الثاني: خصصته للتجربة النقدية عند الكاتب ،ثم وقفت على جهوده في نقد شعر الفقهاء وأدب الأطفال ، فعرضت كتابه في الخطاب الشعري عند فقهاء المغرب العربي ،فعرجت على مؤلفاته أدب الطفولة ، فحللت فيها الطفولة والقيم ،ثم الشعر وإشكالية الكتابة ، فالقيم الوطنية والمفردات والأسلوب في أدب الطفولة .

وتطرقت أيضاً للمفاهيم الأدبية والنقدية وكذا المصطلحات الأدبية الواردة عنده ، ثم المصطلحات النقدية ، وأخيراً عرضت المنهج النقدي عنده .

أما فصلي الثالث والأخير : فعرضت فيه كتاب النقد المغربي القديم ، ووقفت على القضايا النقدية عنده، وعالجت في ختامه المنهج النقدي عند الكاتب .

والخاتمة: حاولت أن أجمل فيها النتائج .

والمصادر التي رافقتني طيلة البحث :

- الخطاب الشعري عند فقهاء المغرب العربي – محمد مرتاض –
- النقد الأدبي القديم في المغرب العربي – محمد مرتاض-
- التجربة الصوفية عند شعراء المغرب العربي – محمد مرتاض-
- مفاهيم جمالية في الشعر العربي القديم (محاولة تنظيرية /تطبيقية) – محمد مرتاض-
- من قضايا أدب الأطفال (دراسة تاريخية فنية) – محمد مرتاض-
- الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري (في شعر الغماري – ناصر –حرز الله - مسعودي) – محمد مرتاض-

فاطـــمة قاســمي

أدرار في :2015/06/18

الفصل الاول

الجهود الروائية عند " محمد مرتاض"

رواية "ثمن الحرية"(المضامين والبناء الفني)

أولاً : موضوعات ومحاور رواية "ثمن الحرية".

1-1: قصة الإنسان الجزائري مع الأرض.

2-1:الالتزام العميق بتحرير الوطن.

3-1: إدراك الإنسان الجزائري ونضج تفكيره يسلمه لحياة الحرية.

ثانياً: فنيات روايــة "ثمـن الحرية

1-2: الأحداث.

2-2: الشخصيات.

3-2: اللغة السردية .

4-2: الزمن والمكان.

ثالثاً: مميزات رواية "ثمن الحرية".

1-3: تفاعل مضمون رواية "ثمن الحرية" مع البناء الفني.

2-3: تميز اللغة الروائية.

رواية "وأخيراً تتلألأ الشمس" .

أولاً : موضوعاتها.

1-1: المجتمع ووعيه بالواقع الوطني.

2-1: مساندة المجتمع للثورة .

3-1 القضية الوطنية .

ثانياً: عنوان روية "وأخيراً تتلألأ الشمس" وأحداثها وشخصياتها.

1-2: العنوان .

2-2: الأحداث .

3-2: الشخوص.

ثالثاً: "وأخيراً تتلألأ الشمس" : اللغة – الزمن – والمكان.

1-3: اللغة السردية.

2-3: الزمن .

3-3: المكان .

خصائص الخطاب الروائي لدى مرتاض .

اولاً : المضمون.

1-1: ذاكرة التاريخ.

2-1: صورة الوطن و الثورة في "وأخيراً تتلألأ الشمس " و " ثمن الحرية " .

ثانياً: الشكل.

1-2: الأشكال السردية.

ثالثاً: خصائص الأشكال السردية في "وأخيراً تتلألأ الشمس" و "ثمن الحرية.

رابعاً: التقنيات السردية.

1-4: الأوجه السردية .

2-4: سرعة السرد.

رواية "ثمن الحرية"(المضامين والبناء الفني)

أولاً : موضوعات ومحاور رواية "ثمن الحرية"

1-1: قصة الإنسان الجزائري مع الأرض

1 -2:الالتزام العميق بتحرير الوطن

1-3: إدراك الإنسان الجزائري ونضج تفكيره يسلمه لحياة الحرية

ثانياً: فنـيات روايــة "ثمـن الحرية

2-1: الأحداث

2-2: الشخصيات

2-3: اللغة السردية

2-4: الزمن والمكان

ثالثاً: مميزات رواية "ثمن الحرية".

3-1: تفاعل مضمون رواية "ثمن الحرية" مع البناء الفني

3-2: تميز اللغة الروائية.

أولاً: موضوعات ومحاور رواية "ثمن الحرية".

1-1 : قصة الإنسان الجزائري مع الأرض.

يتضح من أن سيرة"محمد مرتاض " العلمية تترجمها الشهادات المختلفة والمتنوعة التي تحصل عليها ، وكذا مجموع المسؤوليات العلمية والتربوية التي استلمها.

يبدأ الكاتب روايته بوصف وضع المجتمع وعلاقته بالثورة، وكيف يدعم هذا المجتمع للثورة، إذ يسعى الفرد والمجتمع إلى المساهمة في هذا الدعم رغم الحالة المتردية للشعب إبان الاستعمار، وذلك الوضع المزري تأتي وصفه بكل جزئياته في الرواية، إذ جاء في الرواية علي لسان "شمس الدين": "ألا تعلم إنه فقير معدم، تقدم إلى الحاكم الفرنسي أكثر من مرة يطلب العمل، فلم يعره اهتماما ...وفكر وقدر، ثم امتهن هذه الحرفة التي تجلب له على الأقل بعض القوت لأفراد عائلته" [1].

يواصل المؤلف وضع القارئ في جو الرواية في حديثه عن أحد الشخصيات وهو "محمد المسؤول" بنواحي "مسيردة".

إن "محمد" هذا ليس أكثر من فلاح بسيط الثقافة، يتابع الأخبار عن طريق مذياع اشتراه من فرنسا منذ أزيد من أربع سنوات " [2] .

هذا يبين الحالة المتردية التي كان يعيشها الشعب الجزائري إبان الاحتلال، لكن رغم ذلك قام الشعب الجزائري بدعم الثورة وإسنادها لكي تحقق غايتها.

ومواصلة للحديث عن دعم المجتمع للثورة، لا بد من ذكر صور هذا الدعم التي تعج بها الرواية "كان محمد يعمل ليلاً ونهاراً من أجل الثورة يخصص بياض نهاره للتعرف على أماكن

1- ثمن الحرية. محمد مرتاض، دار البحث، قسنطينة، ط1، 1987، ص12.
2- المصدر نفسه. ص 14.

إستراتيجية جديدة، أو لمراقبة الاستعمار وهو يحفز ويحضن مراكزه.لمخابئه العديدة، أو يزرع الموت الزؤام بألغام مختلفة الحجم والأشكال".[1]

يقول الكاتب "هذا القدر الكبير حصلت عليه من الاشتراكات والتبرعات كذلك ...ثم إنني استطعت الحصول على الدراهم" [2] .

هذا الاحتضان للثورة يعبر عن الدعم الاجتماعي والشعبي للثورة الجزائرية العظيمة، وقد صور الكاتب هذا الالتفاف حول الثورة في روايته "ثمن الحرية" بكل تدقيق.

يبدأ الكاتب روايته بوصف وضع المجتمع وعلاقته بالثورة، وكيف يدعم هذا المجتمع للثورة، إذ يسعى الفرد والمجتمع إلى المساهمة في هذا الدعم رغم الحالة المتردية للشعب إبان الاستعمار، وذلك الوضع المزري تأتي وصفه بكل جزئياته في الرواية، إذ جاء في الرواية علي لسان "شمس الدين": "ألا تعلم إنه فقير معدم، تقدم إلى الحاكم الفرنسي أكثر من مرة يطلب العمل، فلم يعره اهتماما ...وفكر وقدر، ثم امتهن هذه الحرفة التي تجلب له على الأقل بعض القوت لأفراد عائلته" [3].

يواصل المؤلف وضع القارئ في جو الرواية في حديثه عن أحد الشخصيات وهو "محمد المسؤول" بنواحي "مسيردة".

1- ثمن الحرية.. ص 16.
2- المصدر نفسه، ص 42.
3- المصدر نفسه ، ص12.

"إن محمد هذا ليس أكثر من فلاح بسيط الثقافة، يتابع الأخبار عن طريق مذياع اشتراه من فرنسا منذ أزيد من أربع سنوات " [1] .

هذا يبين الحالة المتردية التي كان يعيشها الشعب الجزائري إبان الاحتلال، لكن رغم ذلك قام الشعب الجزائري بدعم الثورة وإسنادها لكي تحقق غايتها.

ومواصلة للحديث عن دعم المجتمع للثورة، لا بد من ذكر صور هذا الدعم التي تعج بها الرواية "كان محمد يعمل ليلاً ونهاراً من أجل الثورة يخصص بياض نهاره للتعرف على أماكن إستراتيجية جديدة، أو لمراقبة الاستعمار وهو يحفز ويحضن مراكزه.لمخابئه العديدة، أو يزرع الموت الزؤام بألغام مختلفة الحجم والأشكال".[2]

يقول الكاتب "هذا القدر الكبير حصلت عليه من الاشتراكات والتبرعات كذلك ...ثم إنني استطعت الحصول على الدراهم" [3] .

هذا الاحتضان للثورة يعبر عن الدعم الاجتماعي والشعبي للثورة الجزائرية العظيمة، وقد صور الكاتب هذا الالتفاف حول الثورة في روايته ثمن الحرية بكل تدقيق.

1-2: الالتزام العميق بتحرير الوطن:

إن وعي المجتمع بالقضية الوطنية يظهر جليا على مستوى الفكر وعلى مستوى الفعل والتنفيذ، أو العمل الثوري، وذاك ما تعكسه الرواية عند هذا القول: " إن قبيلتي- أيها الضابط

1- ثمن الحرية. ص 14.
2- المصدر نفسه. ص 16.
3- المصدر نفسه، ص 42.

وطنية كلها بكلابها وبدجاجها ... بحيواناتها ونباتها ... ببنائها وبمقابرها ... بأطفالها وبناتها ... برجالها ونسائها ....لذلك صعب علي أن أحصي غدا كل هذا في أسبوع ... ثم أن الإتيان بهؤلاء بأسمائهم إليكم ليس ذا عتاد " [1] . وقد ورد في الرواية ما يعكس التضحية التي قدمها الشعب الجزائري من أجل الحرية في هذا القول: " أخذ إلى الجبل حاول طبيب جيش التحرير أن يسعفه بيد أن الأيام التي قضاها محروماً من العلاج، تسببت له في سرطان جسمي أودى به بعد عشرين يوما من العثور عليه مات رابح كما مات من قبله الألوف من أجل هذه الحرية، ولكن ما لاحظه عليه من ثقة كبيرة، واستهانة بالموت نفسه جعله يجدد أمله، ويوطد عزمه" [2].

هذا عن معاناة مجاهد استشهد في سبيل الوطن، يقول، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة: " إن ما فعلت في سبيل الجزائر قليل وأتمنى أن أكون قد قمت بواجبي، فلا يعتب علي التاريخ من أجل ذلك ثم التفت لإخوانه وقال لهم: العهد العهد ثم فتح شفتيه ليشر في همس مطبوع بألم ممض: إخواني لا تنسوا شهدائكم، من ضحوا لحياة البلاد، بالنفوس والدماء افدوا ترابكم، تركوا الأهل والصحب مع الأولاد" [3].

هذه الصور المتنوعة من مشهد متكامل يعرض وعي المجتمع وإدراكه للقضية الوطنية، وحقه المشروع في استعادة حرية الإنسان، كإنسان قبل كل شيء، وأعتقد أن حرية الإنسان هي الحياة فمتى كان الإنسان حراً كان حياً، ومتى كان حراً كان حياً ، وليس من حق الاحتلال أن

1- ثمن الحرية ص 45.

2- المصدر نفسه. ص 51.

3- المصدر نفسه . ص 51، 52.

يستلوي على حق الإنسان الجزائري في أن ينعم بالحرية والحياة الكريمة، لا اغتصاب فيها للحريات.

1-3: إدراك الإنسان الجزائري ونضج تفكيره يسلمه لحياة الحرية:

إن هذه الفكرة تظهر جلياً في ثنايا الرواية، إذ أن الواقع الجزائري وما فرضه المحتل يفرض على الإنسان الجزائري ضرورة التغيير من أجل خلق وضع أفضل وأليق بالإنسان الجزائري، وهذا ما تجسده الرواية بالقول على لسان كل مكافح ومناضل ما يلي: " قتلوا حتى الصبية حشروا معظم الجزائريين في محتشدات قتلوا جماعياً خربوا قرى بكاملها لم يذروا فيها إلا الخراب اليباب كان ذلك في شهر يونيو 1956. طلب السكان من المستعمرين أن يسمحوا لهم بحصد زرعوهم على الأقل قهقهوا قال قائدهم المجرم هازئاً: لا تخشوا شيئاً سنجني الحبوب ونحملها إليكم حتى خيامكم "[1].

كما جاء على لسان أحد شخصيات الرواية التي كلفت " بالإشراف على بنات جنسها في المحتشد اعتقاداً من قائد الثكنة بأن إسناد المسؤولية إليها قد تشل عصبيتها، وتهدئ من ثورتها عليه وعلى جنوده، وتنسيها ما فعلوه بزوجها الذي لم تعلم عنه خواً بعد، وكثير ما تصنعت التشديد على الصواحب إزاء قائد الثكنة مما جعله يصفها لمساعده بتغير موقفها ولكن صاحبه هذا لم يقتنع برأي رئيسه، لذلك حذره منها " [2].

1- ثمن الحرية ، ص 24.

2- المصدر نفسه. ص 42.

دهش الصحافي لما رأى، فقد عاش واقعاً أكثر مما سمع أو قرأ، نقل كل ذلك إلى مجلته لينشره على مدى أسابيع متتالية تحت عناوين بارزة، إن الذي كان وراء انجاح هذه العملية هو الميلود الذي لم يرض بما حدث حرم على نفسه النوم والراحة قبل أن يعيد الكرامة لجيش التحرير، كما كان قد حرم نفسه من الزواج فداء لحرية الجزائر" [1].

هذا التغيير الذي رأى الشعب الجزائري أنه لا حياة بدونه من أجل تحقيق ما يستحق هذا الشعب من حياة كريمة متحررة من قيود الاستدمار، وقد أدرك الشعب أن هذا الواقع الذي فرضه المحتل لن يتغير دون تقديم التضحيات.

ثانياً: فنيات رواية "ثمن الحرية".

2-1: الأحداث.

تنطلق أحداث رواية ثمن الحرية من يوم 20 نوفمبر سنة 1954 الذي رأى فيه شمس الدين المجاهد بأنه اليوم الذي تبدأ فيه قريته بالاستعداد إلى العمل الثوري، وقد قال لأحد الثوار وهو "بوسّنة" بأن قريتهما ستساهم في " مختلف العمليات التي سينفذها جيش التحرير في المنطقة، وقد اختار المجاهدون هذه القرية، وعينوا منزلك بالذات هذا شرف عظيم لي ولأسرتي إنني وأهلي رهن إشارة الجيش الثورة "[2].

1- ثمن الحرية. ص 48، 49.

2- المصدر نفسه، ص 14.

وتستمر الأحداث في التصاعد "إذ في سنة 1956 ألحق الاحتلال الخراب بالشعب الجزائري وأرضه إذ اشتعلت أرض الجزائر وسماؤها حدق الخطر بألوف الجنود المستعمرين جن جنونهم لم يعودوا يفرقون بين الشيخ أو العجوز قتلوا حتى الصبية حشروا معظم الجزائريين في محتشدات قتلوا جماعياً خربوا قرى بكاملها لم يدروا فيها إلا الخراب اليباب كان ذلك في شهر يونيو 1956. طلب السكان من المستعمرين أن يسمحوا لهم بحصد زرعوهم على الأقل قهقهوا ..."[1].

ثم قال القائد للجزائريين هازئا" لا تخشوا شيئا سنجني الحبوب ونحملها إليكم حتى خيامكم"[2].

لم يسمح الاحتلال للجزائريين بأن يحصدوا حتى زرعوهم، لكي لا يستطيع الجزائري أن يبتعد عن أرضه، ولا تطاوعه نفسه لأن يفعل ذلك، كما لا تطاوعه هاته النفس في فرا ق أهله، وهنا يقوم المؤلف بوصف الواقع الجزائري إبان الاحتلال الفرنسي ونقله إلى القارئ بشكل مركز ودقيق.

فيستمر المؤلف مرة أخرى في الحديث عن الأحداث أثناء الاحتلال" مرارا بأحداث 11 ديسمبر 1960 إلى أن انتهى كل شيء مرت الآلام كلها تلاشت العذابات التي كابدتها هذه

1- ثمن الحرية . ص 24.

2- المصدر نفسه. ص24.

الأسرة حين استرجع الوطن استقلاله، وعادت إليه حريته، هذه الحرية التي قدمت في سبيلها تضحية باهظة، وثمن غاليا"[1].

وهكذا انتهى عهد الاحتلال وأضحى عهد الاستقلال والحرية، إذ تحقق للشعب الجزائري ما كان يتوق إليه ويضحي من أجله، إذ أخرج المحتل من أرضه، التي حرم منها طويلاً .

2-2: الشخصيات:

لابد للروائي من" الاعتناء بالبناء الكلي للرواية والاعتناء بالشخوص التي هي جزء من هذا البناء؛ إذ أن ربط خارج الشخصية بداخلها يسهم في رسم صورة مؤثرة متفاعلة للشخصية".[2]

لقد تعددت شخصيات الرواية وتنوعت حسب أدوارها في الرواية ووظائفها وهي كالتالي:

محمد: كان محمد يعمل ليلاً ونهاراً من أجل " الثورة، يخصص بياض نهاره للتعرف على أماكن استراتيجية جديدة، أو لمراقبة الاستعمار وهو يحفر ويحصن مراكزه لمخابئه العديدة، أو يزرع الموت الزؤام بألغام مختلفة الحجوم والأشكال !! " [3].

كما أن محمد ليس " أكثر من فلاح بسيط الثقافة، يتابع الأخبار عن طريق مذياع اشتره من فرنسا منذ أزيد من أربع سنوات، يعالجه ببطارية كبيرة ".[4]

1- ثمن الحرية ، ص 71.

2- القصة الجزائرية المعاصرة. عبد الملك مرتاض، دارالغرب، ط2، ب ت، ص366.

3- ثمن الحرية ، ص 16.

4- المصدر نفسه ،ص 16.

يبدو أن شخصية محمد شخصية مؤثرة محركة للأحداث، فهو الشخصية البطلة في معترك أحداث الرواية، إذ لأنها متحكمة في زمام الأمور فهي شخصية فاعلة ومتفاعلة في نفس الوقت مع بقية الشخوص الروائية الأخرى.

عمي علي: متخصص" في الألغام وكيفية استعمالها وإبطال مفعولها، وكان عمي علي طيب القلب سريع النكتة، سريع الغضب جميعاً إنه يتفجر غيظاً ويحتدم سخصاً كلما داهمته كلمة نابية من أحد زملائه، ولكنه يتحول كسحابة صيف عن تهجمه". [1]

شمس الدين: صديق محمد، ومجاهد معه ومكافح، ومناضل أيضاً يوصل " لمحمد " المهمات التي كلفته بها الجبهة.

خالصة: وهي زوج محمد، تبدو امرأة متفهمة لزوجها، صبورة، فقد توجهت إلى" مرقد

ابنها وهي تقاوم عواطف الأمومة، ودموع الفرقة، ونيران الحرقة، ألفته يقظاً سمع كل شيء دلفت منه وعانقته بحرارة لم تملك معها عبراتها أن انتشرت على خديه فبللتهما لم يقاوم شؤونها الساخنة، فأسال من محجريه دمعتين امتزجتا مع دموع والدته". [2]

ولكنه انتقض وقال" إنني رجل يا أمي افرحي وابشري ولدك غداً مجاهداً لن يكون فرق بيني وبين سائر جنود جيش التحرير".[3]

1- ثمن الحرية. ، ص 17.

2- المصدر نفسه، ص 30.

3- المصدر نفسه، ص30.

الميلود: هو ذلك " المجاهد الذي يكافح ويناضل من أجل الحرية، وقد قامت والدته قبل ذهابه وانضمامه للجيش بالتوجه إلى مرقد ابنها وهي تقاوم عواطف الأمومة، ودموع الفرقة، ونيران الحرقة. ألقته يقظاً سمع كل شيء دلفت منه وعانقته بحرارة لم تملك معها عبراتها أن انتشر على خديه فبللتهما لم يقاوم شؤونها الساخنة، فأسال من محجريه دمعتين امتزجتا مع دموع والدته".[1]

ولما سألها مبعوث الجيش لإحضار الميلود هل أنت موافقة على ذهاب ابنك الميلود للجيش قالت له: " موافقة؟! أو تسألني رأيي إني لمستعدة أن أصعد أنا أيضاً إلى الجبل من أجل وطني ".[2]

كما تذكر الميلود أيضاً والدته وهي تقول له مودعة:" لا تعد إلينا إلا بالاستقلال هذا عهدنا لك لا بد أن نلتقي إلا يكن هنا فهناك في العالم الآخر لكن حذار أن تغير من شخصيتك وحبك لوطنك. يا لها من أم ".[3]

لقد كان يتمنى أن يحصل له شرف الدفاع عن وطنه وآن أن يتحقق له أمله فلقد جاء مبعوث من القيادة ليصحب معه الميلود إلى الجبال، حيث يلتقي بالمجاهدين والمناضلين، وهذا بفضل دعم الوالدة له، فهي تدرك قيمة الثورة والحرية لذا رغم حبها لولدها فهي تغرس فيه قيم الوطنية، والشجاعة والتضحية، وتدفعه للكفاح وعدم التواني عن الهدف المنشود .

1- ثمن الحرية ، ص30.

2- المصدر نفسه، ص30.

3 - المصدر نفسه، ص 31.

بوحدبة: إنه سارق بارع، ولكنه يفعل ذلك مضطراً لا راغباً ألا تعلم أنه فقير معدم، تقدم إلى الحاكم الفرنسي أكثر من مرة يطلب العلم، لكنه لم يجبه.

"ويتضح أنه من خلال ما تقدم أنه كان على الإنسان الجزائري أن يحدد ذاته ويثبتها" [1] ويثبت أنه قادر على صنع الثورة والاستقلال أيضاً ، وهذا ما توضح من خلال الشخصيات التي جاءت في الرواية.

"أما شخصية الفرنسي في هذه الرواية فهي تتمتع بحرية التصرف "[2] في حياة الشعب الجزائري، وما تفرضه عليه من ظلم واستعباد واستبداد.

وأسماء الشخوص الواردة في الرواية ترتبط كثيراً بأصحابها إذ أن:

محمد: اسم يدل على مشاركته في الثورة التي ضمنت له الخلود في ذاكرة التاريخ.

الميلود: اسم يبعث على التفاؤل بميلاد فجر جديد، فجر الحرية والاستقلال.

عمي علي: في اسمه رمز العلو من أجل الوصول إلى الأهداف.

شمس الدين: وهذا الاسم واضح المعالم بأنه إشارة إلى أن الشعب الجزائري سوف يعيش وهو يمارس إسلامه تحت شمس الحرية.

خالصة: وهي بحسب دورها في الرواية أنها مخلصة في جهادها عن وطنها.

بوحدبة: وهو اسم يرمز إلى الحالة الاجتماعية المتردية.

1 - تطور الوعي في نماذج قصيدة فلسطينية. أمل زين الدين وجوزيف باسيل، دار الحداثة، ط1، 1980، ص 169.

2 - صورة الفرنسي في الرواية المغربية. عبد المجيد حنون، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط، د، ت، ص 187.

أما بالنسبة لوظائف الشخوص في هذه الرواية فهي كالتالي:

محمد: شخصية رئيسية، وبطل الرواية، فهو الثوري والمناضل، والمكافح، بالإضافة إلى هذا كل الوظائف والأدوار مسندة إليه، كما أن شخصيته تسهم في نمو الأحداث الروائية وتطورها وتزيد الرواية حركية وحيوية، فمحمد هو محور الأحداث ومعه تتفاعل الشخوص الأخرى.

خالصة: هي شخصية تتجاذبها الشخوص الأخرى لأهميتها، فهي رمز الوطن، "خالصة" ترى فيها الشخوص الأخرى الوطن، وهذا يخولها لأن تكون شخصية محركة –فعلاً – للشخوص الأخرى.

الميلود: يمثل تاريخ الجزائر الذي لا ينسى، فهو من المجاهدين الذين ضحوا من أجل الجزائر، ففي الرواية هو الشخصية الرامزة للتضحية، وهو بذلك يسهم في بناء أحداث الرواية.

عمي علي: هذه الشخصية مؤثرة جداً وذلك بما أحدثته من دعم لإخوانه ، و قد تعلم الكثير وعلمه نتيجة فلسفته في الحياة ؛ كما أن له قناعاته، و تفكيره الخاص به.

شمس الدين: أسهم في بناء الأحداث رفقة الشخوص الأخرى .

إن شخصيات هذه الرواية مختلفة ومتنوعة وكل شخصية لها مميزاتها ، وبعضها الآخرعبارة عن مجموعة متناقضات، وشخوص أخرى لها قناعاتها الخاصة.

2-3: اللغة السردية :

"ينبغي على الكاتب - عموماً- أن يولي كبير الاهتمام والعناية للغة التي يسرد بها أحداث روايته أو قصته، ولابد للروائي – أيضاً - أن يعطي أبعاداً جمالية لفنه" [1] . من أجل ذلك لا بد من العناية بالبناء الكلي للرواية ، والاعتناء باللغة التي تعد من الأجزاء المهمة في هذا البناء، وهذا ما فعله المؤلف في روايته ثمن الحرية.

والمؤلف في عمله هذا يبدو أنه يتمكن بكل براعة من ناصية اللغة، وذلك ما يثبت اختياره الألفاظ الجزلة، والعبارات الملتحمة والتراكيب المنسجمة، والجمل القوية المؤثرة، فأثبت المؤلف بذلك بأنه نجح على مستوى الاختيار والتركيب؛ فالمؤلف قد اختار الألفاظ الملائمة التي تدل على أنه قد تشبع من أمهات الأدب ومصادره من قرآن كريم، وحديث شريف، وشعر عربي قديم.

و طبيعة الألفاظ والكلمات، والعبارات، والتراكيب التي نسجت لغة الرواية قوية ،موحية، وجزلة مترابطة، تدل على الاطلاع الكبير على اللغة العربية الأثيلة؛ ولأن هناك من الألفاظ في الرواية والعبارات التي ليست متداولة، ولكن موجودة في الرواية، وذلك نتيجة الثقافة اللغوية والعربية والشعرية والقرآنية التي يتمتع بها الكاتب ، فالرواية -فعلاً- يمكن أن توصف بأنها رواية مثقفة ، و ذلك لأنها تعمل على إعادة إحياء اللغة العربية القديمة الأصيلة، وإعادة بعثها وتداولها.

ومن أمثلة ذلك ما ورد في الرواية:

1 - جماليات الرواية المعاصرة. مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة، د ط، د ت، ص 9.

-"الموت الزؤام" [1].

-"إنني فقط أروم معرفة الأخبار " .[2]

-" الأم المكلومة الفؤاد " .[3]

-"بعث فيهم ذلك حماساً ملتعجاً .[4]

-"ملاحظة التضعضع الذي كان يصيب المرتزقة " .[5]

-"وأصبح صوت الجزائر مسموعاً في الخارج مجلجلاً فوق المنابر العالمية" .[6]

-"إن قوماً هذا شأنهم لا يستنكفون على أن يفعلوا الأفاعيل بوالدته" .[7]

أما الحوارات التي وردت في الرواية فهي كثيرة ومتعددة ، تعمل على كسر الرتابة السردية ، و تخلق التنويع في لغة السرد، ومن أمثلة ذلك ما يلي: [8]

- إن قريتنا هذه يجب أن تستعد من الآن إلى العمل الثوري ، وأن تساهم في مختلف العمليات التي سينفذها جيش التحرير في المنطقة، وقد اختار المجاهدين هذه القرية وعينوا منزلك بالذات.

---

1 - ثمن الحرية ، ص 16.
2 - المصدر نفسه. ص 26.
3 - المصدر نفسه. ص 37.
4- المصدر نفسه .ص 49-، 50 .
5- المصدر نفسه. ص، 61.
6- المصدر نفسه. ص 53.
7- المصدر نفسه ، ص53.
8- المصدر نفسه . ص 14

- هذا شرف عظيم لي ولأسرتي إنني وأهلي رهن إشارة الجيش أو الثورة.

- آه نسيت التاريخ في أي شهر نحن؟!

- أننا في يوم العشرين من نوفمبر سنة 1954.

- لكن، يجب أن يظل كل شيء سريا إلى حين عودتي إليك تارة وأخرى .

- سبحان الله! توصيني بالسر ، وأنا مسؤول خلية سابق في حزن جبهة التحرير الوطني.

- طبعاً ولكن لا ننسى تاريخنا وصراعنا المستمر مع العدو .

وهذا الحوار دار بين محمد و شمس الدين يبلغ فيه شمس الدين اختيار جيش التحرير لبيت محمد كمقر للعمليات التي سوف يقوم بها الجيش، تتراوح عبارات هذا الحوار بين الطويلة والقصيرة، بغية التنويع .

أما بالنسبة للمناجاة فهي كذلك موجودة في الرواية، نتكتشف بها ما يدور بين النفس والنفس من حوار؛ ومن أمثلة ذلك في الرواية ما يلي:

" بتر الله لكم الألسنة ... كل حاء تنطقونها خاء..."[1]

و هنا يدعو محمد على القوات الفرنسية لما جاءت إلى بيته، تسأله عن المجاهدين وقد قامت هذه القوات بقلب الحاء خاء في نطقها، ولذلك قال محمد في نفسه ما قال.

1- ثمن الحرية ، ص 28.

-" ولكنه يناجي نفسه بأن أمر الاستيلاء على هذا المركز هين يسير وسيكون هناك من يخترق اسمنته المسلح، فالشجاعة تفتت الحديد وتلينه" .[1]

أما هنا، و في هذه المناجاة يتحدث قائد الناحية عن كيفية الاستيلاء على المركز وكيف سيكون ذلك في غاية السهولة، دون أن يكترث للإسمنت المسلح.

2-4: الزمن والمكان:

-الزمن:

تغطي فترة الرواية الزمنية الفترة ما بين سنة 1954، و1960وهي فترة عسيرة فكراً وقلماً أثرت على الكاتب أيضاً، ومن التنويعات الزمنية التي وردت في الرواية الارتداد والاستباق .

تنطوي الرواية على ثلاثة أزمنة:

-الزمن التاريخي**:**

" محمد مرتاض" : عرض في روايته زمن الثورة والنضال والكفاح من أجل الوطن والحرية، وعرض أيضاً التضحيات التي قدمت.

وفي الواقع، "هذا الوعي عند الروائي الثقافي والسياسي تمثل في انفعاله بالواقع الجزائري ومحاولته فهمه والتعبير عنه". [2]

1- ثمن الحرية ، ص 52.

2 - قراءات في القصة الجزائرية. أحمد منور مكتبة الشعب / الشركة الوطنية للنشر والتوزيع د ط، 1981، ص 7

ويعود هذا إلى أن " الرواية قالب تصب فيه مشكلات المجتمع ، ولذلك هذا الفن يحتل مكان الصدارة في حياتنا اليومية " .[1]

الزمن الاجتماعي: تعرض الرواية واقع الجزائر الاجتماعي من فقر وتشرد، وجهل، وتتطرق الرواية - أيضاً - إلى التمرد؛ " تمرد الشعب على المحتل ، فالرواية تصوير لواقع يحمل في رحمه بذرة التمرد ورحلة البحث عن حرية ومعنى للحياة". [2]

الزمن النفسي: بما أن " البنية الزمنية في جانبها الفني تمتص تجربة الأمة وخبرات أفرادها ، لذا فقد استطاع الكاتب أن يرفع الحجاب لرؤية باطن الشخوص، فنجد من الشخوص من هو نزاع للحزن أو السعادة، ونجد لدىالبعض طموحاً وأملاً [3].

وبهذا نجد في الرواية تنوعات زمنية مختلفة ومتعددة أفرزتها المدة الزمنية التي غطتها الرواية، وهي مدة حرب التحرير.

وهكذا يظهر من خلال هذا الاختلاف الزمني أنه يخلق تنوعاً في الزمن ، ويكسر الرتابة السردية .

1 - في الرواية العربية(عصر التجميع). فاروق خو رشيد، دار العودة، بيروت ط3، 1979، ص 9.

2 - الرواية العربية (النشأة والتحول). محسن جاسم الموسوي، دار الأداب، بيروت ط2، 1998، ص 145.

3 - بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري (1970- 1986). بشير بويجر: محمد، دار الغرب للنشر والتوزيع ط1، 2001، ج1، ص 37.

المكان:

إن المكان في رواية ثمن الحرية مرتبط بالإنسان والزمن ؛ فالمكان ليس هو مجرد مكان و كفى وإنما هو الإنسان لما يستوطن المكان يتعلق به و يحن إليه في البعد ، و يصبح المكان حينها غير قابل للنسيان.

يقول "ميشال زرافا" "MICHEL ZERAFFA" : "إن مفهوماً معيناً للإنسان يحدد جمالية معينة للراوية " .[1]

أما المكان في رواية ثمن الحرية هو الوطن الجزائري الذي تقوم على أرضه الثورة المباركة.

وقد حددت الرواية المكان الذي تجري فيه الأحداث؛ وهو تلمسان التي شهدت تضحيات جسام للشهداء الذين قدموا بين للوطن أرواحهم، لأجل الحرية والاستقلال والنصر.

كما أن لاحظت من خلال قراءتي للرواية أن المجاهد كان يضفي من روحة على الطبيعة وكأنه يحاكيها، ويجعلها تستحيل إلى بشر يشاركه همه وحواره ، الداخلي، ويقاسمه المعاناة، فيجعل الجبال التي يمشي بين جناباتها وكأن والدته تحثه على التمرد والصبر ، و بذلك تصبح الجبال رمزا للتمرد و الكفاح والنضال.

1 - La Révolution Romanesque . Michel Zeraffa. Union Générale d' edition. 1972.p. 32

" تلمسان " : في الرواية هي صورة مصغرة للوطن ككل، فهي تعكس الجزائر بكل صراعها، وهو المكان الذي يحتضن الأحداث، وتهرع إليه الذكرة ؛ بالإضافة إلى أن هناك علاقة حميمية بين " محمد مرتاض" وتلمسان/ المكان.

ثالثاً: مميزات رواية "ثمن الحرية":

1-3 : تفاعل مضمون رواية "ثمن الحرية" مع البناء الفني.

إن أسس بناء الروية من أحداث وشخوص وزمان ومكان، ولغة سردية تتداخل كلها كي تخلق الانسجام والتناسق المطلوب بينهما وبين المضمون.

بالنسبة للعنوان ثمن الحرية ؛ فإنه يعكس بشكل واضح وصريح المضمون الثوري ؛ إذ جاء في الرواية :" أبداً ستظل كلماتها ترن في أذني ما حييت، وسأحتفظ بها لتبقى نبراساً لحياتي النضالية كلها قالت لي: لا تعد إلينا إلا بالاستقلال هذا عهدنا لك لا بد أن نلتقي إلا يكن هنا فهناك في العالم الآخر لكني حذار أن تغير من شخصيتك وحبك لوطنك " .[1]

ما يلاحظ هنا هو ثقافته المواطن المتكافئة مع كلامه، وهذا الكلام هنا يجري على لسان الأم التي تطلب من ابنها البقاء و المواصلة في مسيرة النضال وهذا يعني أن الشخوص تساهم في تقديم المضمون.

بالإضافة إلى الأماكن وأسمائها فإنها موجودة - فعلا – في أرض الجزائر، وهي بذلك تعطي لمسة واقعية للرواية وأحداثها، وتجعل القارئ أو الدارس في متابعة مستمرة للأحداث.

1 - ثمن الحرية، ص 31.

ومما جاء في ذلك على لسان أحد الشخوص في الرواية ما يلي : " تباهي العدو بهذه العملية وأعتبر الصحافي جندياً مساعداً لجيش التحرير ثم قاده إلى السجن انتظاراً لاستنطاقه ومحاكمته تمكنت الفرقة الباقية من الاحتجاب عن العدو في الناحية المجاورة وأخبرت مسؤول الناحية بالواقعة، وأبلغته أساها وحرقتها بخصوص القبض على الصحافي الضيف انبثت عيون جبهة التحرير بالتعاون مع الفدائيين استكشفوا فيما بعد أن الصحافي محجوز في تلمسان " .[1]

ومما جاء في الرواية أيضاً : " عاد محمود مساء يوم من سنة 1956 مغموماً مهموماً اتصل بشعبان أخبره الخبر إن العدو وقد يكون تفطن لمخطط الجيش أوهي مصادفة فحسب نقل الصحافي من تلمسان إلى وهران، وقع الاتصال السريع اتخذت الخطة نفسها مع تقوية رجال الفداء تمكن أن يخطف الصحافي من سيارة مصفحة في الوقت الذي هوجمت فيه قافلة السيارات الأخرى بمختلف الأسلحة والقنابل دهش الصحافي لما رأى ". [2]

وقد ورد في الرواية –أيضاً : " سبحان الله توصيني بالسر، وأنا مسؤول خلية سابق في حزب الشعب ؟! لا داعي إلى ذكر ما سبق فلنا اليوم حزب واحد، هو حزب جبهة التحرير الوطني... طبعاً ولكن لا ننسى تاريخنا وصراعنا المستمر مع العدو استعماري ظل الرجلان يلتقيان ، ثم قررت الثورة أن ينتقل شمس الدين إلى ناحية (بني سوس) ويبقى محمد بنواحي (مسيردة) ويتولى المسؤولية كل واحد في جهته ". [3]

1 - ثمن الحرية. محمد مرتاض. ص 47.

2 - المصدر نفسه. ص 48.

3- المصدر نفسه، ص 14.

إن المكان الذي تجري فيه الأحداث والمذكور هنا هو تلمسان، والزمن المذكور – أيضا - في هاته النصوص هو 1956، فيلاحظ – هنا - أن الزمن حقيقي وهو زمن الحرب والمكان – كذلك - حقيقي وهو تلمسان، وبالتالي فالزمن يسهم بدوره إلى جانب المكان في إقامة البناء الروائي.

إلى جانب هذا فالأحداث الروائية متعاقبة السنوات وهذا ما جاء في الرواية ،في هذه النصوص التالية: " إننا في يوم العشرين من نوفمبر سنة 1954. " [1]

وكذلك : "عاد محمود مساء يوم من سنة 1956 مغموماً مهموماً اتصل شعبان أخبره الخبر " .[2]

و لعل المؤلف قد ذهب إلى ذلك احتراما للقارئ وحفاظاً واستحواذاً على انتباهه، واحتراماً أيضاً لتفكيره و منطقيته .

وأيضاً : " عادوا إلى معقلهم متحسرين يائسين طمأنوا بعضهم بعضاً بأنه قد يكون اتجه إلى ناحية أخرى وقال القائد في نفسه: إنه صاحب البلد يعرف الجهة كلها لا يخشى عليه لا بد أن يأتي.... سبق له أن ظل بعيداً عن الجيش في سنة 1956. نحو شهر، ثم التحقق بعد مدة بإ خوانه، فلم لا يقع الشيء نفسه هذه المرة أيضاً ". [3]

1 - ثمن الحرية. محمد مرتاض، ص 14.

2 - المصدر نفسه. ص 48.

3 - المصدر نفسه ،ص 54.

وقد ورد أيضاً :" بعد نضال مرير، توصل هو وأصحابه إلى الحصول على بعض الحقوق المدنية كالاستماع إلى المذياع، وزيارة الأقارب لهم، ودخول الجرائد وبعض المجلات عليهم وصلتهم أنباء السابع عشر أكتوبر 1960 حين تظاهر الجزائريون في فرنسا احتجاجاً على المجرمين الفرنسيين ... أخبار المظاهرات العارمة للشعب الجزائري كله في الحادي عشر ديسمبر 1960 اغتبطوا لكل هذا الذي يقع استيقنوا من أن الاستقلال لا بد منه " .[1]

- و كذلك : " ظل يحن على شقيقته الصغرى ميمونة ، ويود أنه لو يستطيع رؤيتها أو زيارتها وصلت أنباء عنها التحقت بالجبل هي أيضاً تعمل الآن ممرضة في صفوف جيش التحرير ... انتهى كل شيء مرت الأم كلها تلاشت العذابات التي كابدتها هذه الأسرة حين استرجع الوطن استقلاله، وعادت إليه حريته، هذه الحرية التي قدمت في سبيلها تضحية باهظة، وثمناً غالياً ". [2]

- لتساهم مرة أخرى - هاته الأحداث - في بناء المعمار الروائي إلى جانب الأسس الأخرى للرواية؛ من عنوان وشخوص، وزمن ومكان ، ولغة سردية، وعنوان ذلك... تضافر كل هذه الأسس يجعل من العمل الفني كتلة متفاعلة المكونات من مضمون وشكل.

3-2: تميز اللغة الروائية.

تتميز اللغة السردية لرواية "ثمن الحرية " بمميزات عدة منها: .

1 - ثمن الحرية. ص 70.

2 - المصدر نفسه. ص 70- 71.

- أساليب النسيج اللغوي **:** الحقيقة أن الكاتب يتصرف في أساليب النسيج اللغوي بطريقة تكشف عن قدرة وتمكن من ناصية اللغة العربية، وتكشف - أيضا - عن حب خالص لها يخلق بروح أسلوبه ولغته متعة لدى القارئ يشده بها ، فلغة محمد مرتاض ليست معقدة.

وقد قصد محمد مرتاض إلى الرمز، و جعل تلمسان هي رمز المجتمع الجزائري، رمز التاريخ والماضي.

" لأن اللغة تمكن ومقدرة فإنه حقل "مفتوح للأدباء والنقاد والبلاغين للعطاء" .[1]

وقد قدم الكاتب محمد مرتاض كثيراً في هذا المجال ؛ كما لا يمكن استشفاف أدبية النص الروائي إلا عبر نسيجه اللغوي، فاللغة هي التي تسمح لنا بفحص أدبية الخطاب الروائي.

" أساليب الحوار : من الواضح أنه كلما تطور الحوار وقوي الحدث كان ذلك سبباً في الكشف عن حركة تقدمية في الرواية" .[2]

" بالإضافة إلى هذا فهناك الحوار القصير العبارات والطويل العبارات" .[3]

---

1 - النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية. يوسف وغليسي، إصدارات رابطة إبداع الثقافة الجزائرية، 2002 ، دط، ص 146.

2- عالم القصة. برناردي فوتو، ترجمة: محمد مصطفى هدارة عالم الكتب/ مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة / نيويورك، د ط، 1969 ص 267.

3- " قراءة في رواية المنعرج لمصطفى الفارسي " . الأخضر الزاوي، المجلة العربة للعلوم الإنسانية. مجلس النشر العلمي، الكويت، العدد 59، السنة 15، 1997، ص 214.

وهذا ما ظهر في رواية ثمن الحرية جلياً ؛ إذا أنه كلما شهد الحوار النمو والتطور ينتج عن ذلك حركية وحيوية وحياة في الرواية، بالإضافة إلى عبارات الرواية التي تتراوح بين الطول والقصر.

لغة المناجاة:

"ويعرف بأنه تقنية تقديم المحتوى الذهني " [1]، و كمثال على ذلك ما ورد في الرواية: "بتر الله لكم الألبسة ...كل حاء تنطقونها خاء " [2] ' فهذه التقنية – كما سبق التعرض لها - تقدم المحتوى الذهني للشخصيات والكاتب أيضاً .

بالإضافة إلى ذلك باستطاعة الكاتب تحميل الشخصيات - عبر هذه التقنية - جميع أفكاره وعواطفه وأحاسيسه بالإضافة إلى آرائه وكذا طريقة تفكيره وتعامله.

1- تيار الوعي في الرواية الحديثة، روبرت همفري، ترجمة: محمد الربيعي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة د ط، 2000، ص 74.

2- ثمن الحرية ، ص .28

رواية "وأخيراً تتلألأ الشمس" .

أولاً : موضوعها

1-1: المجتمع ووعيه بالواقع الوطني

2-1: مساندة المجتمع للثورة

3-1 القضية الوطنية

ثانياً: عنوان روية "وأخيراً تتلألأ الشمس" وأحداثها وشخصياتها

1-2: العنوان

2-2: الأحداث

3-2: الشخصيات

ثالثاً: "وأخيراً تتلألأ الشمس" : اللغة – الزمن – والمكان

1-3: اللغة السردية

2-3: الزمن

3-3: المكان

اولاً: موضـوعها.

1-1 : المجتمع و وعيه بالواقع الوطني .

إن وعي المجتمع بالواقع الوطني هو ما خلق عنده الحافز و الإصرار و الدافع لتحرير الوطن من سيطرة الاحتلال وهيمنة الاستدمار؛ حتى أنه لما كان المجاهدون يزورون منزلا بغية التزود أو الراحة فإن صاحب البيت يفتخر بذلك، وتأخذه نفسه بالعزة والفخر ومن ذلك ما ورد في الرواية على لسان توفيق بطل الرواية : "اسمحوا لي بالعودة إلى المنزل ، فوالدتي تنتظر، لأننا نترقب ضيوفا سيحلون بمنزلنا هذه الليلة ... وهم أن يكشف عن هوية هؤلاء الضيوف ،وأن يتبجح إزاء فريدة مفتخرا بنفسه وبأمه ... ومن لم يكن في أثناء الثورة يملأه التيه ، وتطغى عليه الأبهة إن زاره المجاهدون ؟". [1]

كان يود أن يقول توفيق "سيزورنا فوج من المجاهدين فيقضي عندنا الليلة، ثم يواصل السير إلى بلاد الجزائر العزيزة، مارًا عن طرق الأسلاك الشائكة المكهربة التي تتيف عن سبعة خطوط، والتي ما كانت لتقف حائلا دون إدراك المجاهدين مآربهم، وبلوغهم مراميهم" [2] ،وقبل المضي في الحديث ، لابد من إعطاء ملخص عن الرواية إذ أن بطلها توفيق ، الذي تمتلكه رغبة جامحة في الانضمام إلى صفوف المجاهدين من أجل المشاركة في الثورة ، لكن حبه لإحدى الفتيات كان يضعف عزائمه ، ولكن واجبه الوطني تغلب على عاطفته.

1- وأخيراً تتلألأ الشمس. محمد مرتاض ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، طبعة 1999 ، ص 32.

2- المصدر نفسه . ص 32

وتحققت أمنية "توفيق" بالذهاب والانضمام إلى صفوف الجيش واستطاع الذهاب إلى مأوى المجاهدين ، وشارك – أيضا – في الحرب، وبعد مدة ظن فيها أنه استشهد ،عاد إلى أسرته التي تيقنت من وفاته ، وخالطها اليأس من عودته .

ومن صور دعم المجتمع وحبه للثورة أن الجزائريين كانوا إبان الثورة "يفهمون بالإيحاء ويدركون الغرض باللمح الخفيف أو الإيماءة ،ولو لم يكونوا على هذا النحو من الاستعداد والذكاء لما كان لتلك الثورة الجبارة التي أدهشت العالم أن تنتصر ".[1]

وعن مجاهد اختفى طويلا ، يدعى "سي أحمد" جاء في وصفه وفي وصف تكتمه:"لم يكن يتكلم عن المدة التي قضاها في الجبال ، ولم يكن ليكلم أحدا في شأن الجيش وتنظيماته عدده وعدته ، تحركاته و مراكزه ومعاركه...إلى غير ذلك من الأعمال الجليلة التي كان يعجب بها الصديق ويعجب منها العدو ".[2]

ويضيف الكاتب شارحا كلمة النظام التي كانت تستعمل آنذاك ،فمدلولها يفهمه القارئ الثوري الذي عايش أيام الثورة .

ولكن كلمة النظام عسيرة الفهم " على الذين جاؤوا بعد الثورة المباركة ... كانت جبهة التحرير تعرف بمصطلح النظام لدى العامة ، فكانت هذه الكلمة تردد في الاجتماعات السرية المختلفة"[3]، فالكاتب يرى أن هذه الكلمة عسيرة الفهم على الذين أتوا بعد ثورة التحرير.

1- وأخيراً تتلألأ الشمس.ص 32.

2-المصدر نفسه .ص32 .

3- المصدر نفسه ،ص 32.

ومن حب الشعب للثورة والثوار ما كان يدعمهم به ، ويزودهم به من طعام ،وضيافة وإيواء ،وحماية للمجاهدين إذ ورد ذلك في الرواية على لسان توفيق بالإضافة إلى النعوت التي جاءت واصفة المجاهدين .

كان المجاهدون لا يقوون على التحرك نتيجة ما "يحملونه من ذخائر ، وما يطوقون به ظهورهم من معدات لتزويد بعضهم بعضا عند الحاجة ... كانوا كلهم يتقدون حيوية ونشاطا ...تخالهم أسودا وتحسبهم نمورا ينقضون على الأعداء ، ويمزقون أشلاء هم إربا .. كم من مرة زاره المجاهدون قبل الآن ولكن والدته كانت كل مرة تحظر عليه الالتقاء بهم"[1]

يواصل "توفيق "حديثة عن المجاهدين قائلا "إنها تخشى إفشاء السر، ترتاب به ويتسلحون إلا أن توفيقا لم يعد صبيا ... هو الآن غلام ، وكاتب الفوج في المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني ، فما الذي يمنعه من رؤية المجاهدين هذه المرة والتحدث إليهم ؟ ... هو يتوهم توهمات مختلفة ".[2]

يتلقى "توفيق وابلا من الأسئلة حول الثوار ،وحول أوصافهم مستفسرا :"من هم المجاهدون ؟ كيف وجوههم ؟ - ماذا يرتدون من الملابس ؟ - بماذا يقاومون الاستعمار ؟ بأسلحة أم بعصا وبحجر فقط ؟ - هل حقيقة تفيض وجوههم بالبشر والحبور كما ذكرت لي أمي ؟ تحرق كثيرا إلى إخوانه المجاهدين " .[3]

1- وأخيراً تتلألأ الشمس .ص34.

2- المصدر نفسه .ص 34-35.

3- المصدر نفسه.ص 35 .

هذه العبارات والجمل تصف شعور توفيق ورغبته الجامحة في الانضمام إلى المجاهدين ، والمشاركة في الثورة ، وتصور أيضا حب توفيق للثورة والثوار.

والكفاح –آنذاك – كان جماعيا ، إذ شاركت فيه كل فئات الشعب الجزائري ، فكيف لا يشارك توفيق في هذا النضال ، وهو في مقتبل العمر ، فالكفاح لا يعرف الاستثناء الكل يريد الحرية والكل يرمي المشاركة في الثورة .

"وما الكفاح الجماعي للشعب في مدنه وقراه ، نسائه ورجاله إلا دليل على ما كانت تتمتع به تلك الثورة من تأييد ،وما حفلت به من اهتمام وما أحدثته من المفاجأة العارمة في النفوس " [1].

يضيف الكاتب عن توفيق"وهو في صحبة المجاهدين ورفقتهم ،إذ يسوق إعجابه بهم ،وتعلقه بمثله الأعلى واصفا ما يقع منهم في نفسه ،رهبة منهم قضى في صحبتهم ليلة بهيجة .. كان يسترق السمع وهو معجب بحكاياتهم واستعدادهم وهممهم العالية ...أحس أن الرجل الواحد يوازي عشرة من جنود العدو ... نظروا إليه نظرة فيها معنى مقصدهم . ليسوا في حاجة إلى تفسير أو إيضاح إنهم ... يحذرونه إفشاء السر ".[2]

"يودع المجاهدون توفيقا وأمه ، وحلم لو كان معهم ،وتمنى الالتحاق بهم تمنى لو كان بينهم في هذه الآونة ومن الذي يمنع من ذلك .لم لا يصحبهم؟ ...لم لا يرتدي بدلة قماشية خضراء أو زرقاء أو هي خليط منهما معا ،كتلك التي يزين بها المجاهدون ،...

1- الأدب الجزائري المعاصر. محمد صالح الجابري ، دار الجيل الطبعة 1 ، 1426 هـ -2005، ص134.
2- وأخيراً تتلألأ الشمس.ص 35 .

لماذا لا تكون له بندقية ،رشاش مسدس ،مدفع رشاش؟ ..بل مدفع هاون ،حتى يقضي على الكلاب الضارية الجائعة التي نجست أرض الجزائر الطهور ،وانتهكت حرمات مقدساته ،وعاثت في ربوعها الغالية فساداً ؟ لم لا ...لمه؟".[1]

فالشعب الجزائري بكل فئاته كان يعتزم المشاركة في الكفاح، فالحرية والاستقلال هما هدف الجميع.

وتصور الرواية المجتمع تصويرا واقعيا ،إذ تحدد بشكل دقيق بعض الظواهر ، فمثلا تصنف الأشخاص الذين يسألون عن أمور المجاهدين بشكل مقلق ، ومؤرق ،بالإضافة إلى أن الرواية تصور المجاهدين تصويرا مثاليا .

بالإضافة إلى وصف المجاهدين بالقوة البالغة والبأس الشديد ،هذه القوة التي جعلت الواحد منهم بعشرة أعداء ،وهذه الصورة المثالية للمجاهدين تقابلها صورة غير مثالية في المجتمع أي أن المجتمع فيه أمور واقعية سلبية إذ أن هناك من يشك ويرتاب من الأعمال الجليلة التي قدمها المجاهدون فجاء في الرواية عن سي احمد الذي بدأ يخرج إلى الناس ولكن يتحدث إليهم في حذر عن المدة التي قضاها في الجبال ، وعن الجيش وتنظيماته، وعدده وعدته ، تحركاته ومؤونته ،مراكزه ومعاركه ... إلى غير ذلك من الأعمال الجليلة ... ولقد كان سي احمد هذا على حق حين اعتصم بمنزله لا يبرحه ،وبغرفته إذ ما كاد يخرج على الناس حتى انهال عليه

1- وأخيراً تتلألأ الشمس.ص 36.

الفضوليين بوابل من الأسئلة والاستفسارات منهم من كان صدوقا ، ومنهم من كان شاكا مرتابا "[1]

"وللالتحاق بصفوف الجبهة كان على المناضل أن يحصل على سلاح ،أو قنبلة ...إذ أنه لا يقبل دون ذلك وهو مطالب بغنم سلاح إذا ما وقعت معركة أو اشتباك هو بهذا يبرهن على شجاعته التي لابد أن تكون كبيرة من أجل الحصول على السلاح ... وعندئذ تصير له مكانته بينهم بعدما فرض نفسه يالجرأة والبسالة والإقدام ".[2]

وإرادة توفيق قوية في الحصول السلاح وعزيمته صلبة في مقاومة العدو ورغبته كبيرة في الالتحاق بالمناضلين ، والانضمام إلى صفوف المجاهدين .

"ومن أجل ذلك عزم أن يفعل شيئا يكمن في شجرة بلوط ، ينتظر فرقة في أربعة جنود فحسب .. حمل معه حجرا كبيرا يشبه القنابل ... وضعه في جيوبه ...فعل ذلك قبل طلوع الشمس حتى لا يفتضح أمره؟... بقي ينتظر يا لسوء الحظ؟... غيرت الدورية الطريق ".[3]

"لكن ظل سر التحاق توفيق بالجبل بينه وبين نفسه فغاب عن أمه وهو جالس معها ، ابتعد عنها بتخميناته وأفكاره... راودته أحلام ... كيف سيصنع بالعدو ... كيف سينبطح ويلقي بقذائف مدفعه على المخابئ والمراكز ... خابرته نشوة الانتصار،لذة صياح الجنود

1- وأخيراً تتلألأ الشمس .ص 36 .

2- المصدر نفسه.ص37.

3- المصدر نفسه، ص37.

المرتزقة ،وهم يغربون عن وجهه مولين الأدبار ،وهو يتعقبهم بما يملك من سلاحي الإيمان والبسالة".[1]

فالهدف الأكبر ، والأسمى والأعظم ،والذي يبغي البطل توفيق تحقيقه ،ويتوق لإنجازه هو انضمامه لجيش التحرير ،رغبة في القضاء على العدو وتفنيده ، وإخراجه من البلاد ،وتحرير هاته الأرض من سيطرة المحتل ،بالاستعانة بسلاح الإيمان العميق بالحرية والانتصار .

"وبدأ هوى الذات بالتسلل إلى نفس توفيق إذ تذكر تلك التي يريد الاقتران بها ،فوبخته نفسه بشدة قائلة له: إنك لغبي حقا ... كيف تهجر تلك التي أحببت وهويت ،بل كيف تعرض نفسك لخطر الموت ،في الوقت الذي تستطيع أن تبقى فيه إلى جانبها، ولا تتخلى عنها".[2]

"وقد لاحظت والدته شروده عنها ،فاستفسرته ،فزعم لها أنه يفكر بهؤلاء الأبطال الذين قد يذهبون ضحية الواجب ،ولن يرى منهم واحدا بعد هذا اللقاء ،فتحسرت أمه بدورها ، وتأوهت قائلة لينصرهم الله يابني ويكلأهم بعنايته ... هم محفوظون ،لأنهم لا يرومون إلا استرجاع حق قد اغتصب ،وشرف قد اهدودر ، وكرامة قد ديست قال لها دون معنى: صدقت" .[3]

" لكن بالرغم من ذلك لا يرى توفيق في منامه إلا الثورة والكفاح ، والنضال إذ استسلم لنوم مفعم بحلم لذيذ نقله إلى الجبال بمعية المجاهدين .. ورأى نفسه كيف أنه صغير

1- وأخيراً تتلألأ الشمس. ص37 .
2- المصدر نفسه. ص .38
3- المصدر نفسه، ص38.

وهو بصحبتهم ،يوشك أن يلحق بخطواتهم ..أجهد نفسه وشق عليها ،فألفاها بين مخاطر محدقة ومهاول محققة لا ينجيه من الغرق فيها إلا الجرأة والإقدام والبسالة". [1]

لكننا سنرى هذا البطل وقد استطاع أن يغلب واجبه الوطني المتمثل في العمل على الالتحاق بالثورة وبالتالي انكسرت أواصر التعارض بين هوى الذات وهوى الواجب الوطني ،ثم الوصول إلى التكامل بين العاطفة والواجب الوطني.

وحتى وإن تزوج توفيق من فريدة فإن ذلك لم يثنيه عن أداء واجبه الوطني ،لكن لم يمض شهر أو بعض شهر على زواجه حتى بادر توفيق إلى الانضمام لصفوف جبهة التحرير الوطني .

" وفي وداعه لزوجته من أجل الالتحاق بالجيش يقول لها ما حيلتنا ووطننا يريدنا جميعاً أن نقوم بالدفاع عنه ... ما قولنا للحرية المفقودة وهي تنادينا كل يوم أن نسترجعها ...رفعت فريدة الحنون رأسها إليه ،وقالت في صوت يخنقه البكاء :لن أحول بينك وبين ما أنت عازم عليه ... أنا أيضا جزائرية .. الوطن أكثر احتياجا مني إليك .. ثم .. إن والدتي ستبقى وحيدة وستقتلها الوسائل الوساوس والهواجس". [2]

"وشيعت الوالدة والزوج توفيقا أثناء رحيله ، وكان يمكن لهذه الزوج أن تعيق ذهاب زوجها من أجل الالتحاق بصفوف جبهة التحرير الوطنية ، لكن توفيقا آثر طريق الجهاد على كل شيء ،وتزوج بالوطن ،بالحرية ،بالذب عن البلاد .. إنه يعلم أن واجب الوطن أغلى وأكبر

1- وأخيراً تتلألأ الشمس. ص29 .

2- المصدر نفسه.ص 51 .

وأعظم من دموع تنهل على الخدود ، تجف مع مرور الأيام بينما دموع الوطن تبقى أبداً مهراقة ،تجري من المآقي غزيرة ، فتشكل أودية عظيمة ،تتحول قبل ارتداد الطرف إلى دماء قانية ،تلوث جبين كل متوان عن التضحية."[1]

"ومن أجل الحصول على سلاح قام توفيق باعتقال وجلب واحد من الذين اعتقد أنهم خونة ، وقاده إلى مقر الجبهة،ومن أجل التأكد من عكس ذلك فكر هذا المعتقل العربي حارس الغابة في حل ،وهو أن يوهم قائد الثكنة بأن يذهب ليوقع بمن يزرع الرعب والخوف في الغابة وهكذا وجدوا المجاهدين الذين قتلوا بعضهم، وأسروا بعضهم الآخر".[2]

"وبحلول شهر نوفمبر 1959 خطب فيهم قائد الولاية بأنه من كان من المجاهدين لا يقوى تحمل الشدائد والصعوبات لكن لم يتركوه يكمل كلمته حتى صاحوا الله اكبر فكلمة الاستقلال كانت عظيمة عزيرة على المجاهدين عزتها لدى كل المواطنين الجزائريين ....كان بعض السذج يحسب الحرية شيئا سماويا روحيا يقبل إلى عالمنا المادي هذا وهو يتبختر في أثوابه البائسة ويختال في ملابسه الزاهية يمشي في تيه ودلال وقد ازين بالجواهر واللآلئ والعقود والأساور ".[3]

1- وأخيراً تتلألأ الشمس. ص52 .

2- المصدر نفسه. ص 54 .

3- المصدر نفسه. ص55 .

فالحرية غالية الثمن دفع من أجلها الجزائريين أرواحهم بغية التحرر والاستقلال وضحوا بالغالي والنفيس وتحملوا العذاب والمعاناة وقدموا كل شيء من أجل إخراج الاحتلال من هذه البلاد والعيش بعزة وكرامة على أرض حرة متحررة مستقلة.

1-2: مساندة المجتمع للثورة :

إن الشعب الجزائري يتمتع بالوعي والمساندة للقضية الوطنية الكبرى وهي الثورة حتى النصر والحرية والاستقلال أو الاستشهاد دونها .

ومن صور الوعي عند الشعب الجزائري بالقضية الوطنية دعمه للثورة وحبه لها ،وكذا حماسة كل مواطن من أجل المشاركة في الحرب التحريرية.

"لم يستطع توفيق حبس صراخه قائلاً للضابط بحماس وانفعال كلا يا سيدي بل إني إن شاء الله لمن المجاهدين ... ابتسم الضابط ابتسام الرضى والإعجاب وأثنى عليه ليبارك الله في أمثالك ... وإلى الأمام".[1]

"حتما إن وعي المواطن بقضية وطنه هو وعي عميق بضرورة الالتزام بقضايا الوطن والالتزام بحبه إذ أن هذا التعلق بالوطن أصيل وأثيل؛ وللاستزادة يمكن عرض هذا المعنى بتعزيزه بما جاء في المصادر العربية ، فالتوطن من وطن البلاد بمعنى أوطنها واتّطن هذه البلاد استوطن هذه البلاد ".[2]

1- وأخيراً تتلألأ الشمس. ص 37 .

2- ديوان الأدب (معجم لغوي تراثي) .أبو إبراهيم الفرابي ، تر و تح :عادل عبد الجبار الشاطبي ، مكتبة لبنان ناشرون ،د ط ،2003 ، ص675.

والكاتب جعل هدفه من هذه الرواية التطرق لهذه القضايا :من وعي لدى المجتمع ، وحب الوطن والدفاع عنه، وكذا التزام الشعب بقضيته الوطنية ، فهاته المعطيات والأفكار تشكل في مجموعها البعد الذي يرمي إليه المؤلف من وراء طرح هذا العمل الروائي ، والبعد هو ما تعكسه الرواية من قضايا وأفكار وإشكالات ، أي ما بعد الرواية "والبعد في المعاجم خلاف القرب"[1] ،وقد جاء في القرآن الكريم **قوله تعالى :**{ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ }. [2]

" وعن الوعي بالقضية الوطنية الذي يخلق وضعاً من الالتزام العميق بالقضية أن قام توفيق بالكفاح والعمل الثوري والجهاد إذ أخذ توفيق تدريبا خفيفا ... كيف يفكك سلاحه ... كيف ينظفه... وكان سلاح الجيش آنذاك لا يعدو بنادق البلج والإسبان وبعض رشاشات الألمان ،ورشاشات الفرنسيين ، وهي في مجملها من الغنائم التي كان جيش التحرير يستولي عليها عقب كل معركة "[3].

الوعي الوطني بالتمسك بالأرض والدفاع عن الوطن تجلى في العمل الثوري الميداني ، الذي به قام توفيق إذ أن مراحل الوصول إلى هذا العمل الثوري انقسمت إلى خطوات ثلاث :

1- لسان العرب. ابن منظور ،دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ج3 ، ص .89

2- سورة سبأ . الآية : (53).

3- وأخيراً تتلألأ الشمس . ص 57.

صعوبة البدايات وثمرات الإصرار :إذا أن بداية بطل الرواية في الالتحاق بالجبل كانت صعبة فقد عانى عدم وجود السلاح ، بالإضافة إلى الصراع بين مطالب الذات ومتطلبات الواجب الوطني .

" الجهاد بين الاختيار والإجبار : إذ أن للمنخرطين في صفوف الجيش الحرية في الانضمام أو عدمه وليسوا مجبرين على الانخراط ، وقد عاش توفيق لحظات الاختيار قبل المشاركة، إذ كان الصراع قائماً في نفسه بين مطالب الذات، ومتطلبات الواجب الوطني، لكن في النهاية كان مجبراً على الاختيار، فاختار الوطن لأنه بحاجة إلى توفيق وأمثاله". [1]

" الشباب بين الشجاعة والاندفاع : اتصف توفيق بشجاعته في عمله الثوري وليس الاندفاع دون تفكير، أو رزانة أو رصانة، أو تأن، بالإضافة إلى أن الشباب الجدد الذين يريدون الانضمام للجبهة يقام لهم اختبار، من أجل تمييز الخبيث من الطيب ، مثل اختبار حارس الغابة من أجل الاقتناع بوطنيته ، وكذا اختبار شجاعة توفيق التي تجسدت في القدرة على صنع الانتصار في هجوم لفرقة المجاهدين على مركز استعماري ، انطلقت البنادق المتنوعة ، والأسلحة الخفيفة ترسل رصاصها المحمر القاتل ، في الوقت الذي كانت فيه مدافع الهاون تبعث بشظايا نيرانها لتقع قذائفها على جدران المركز فتحدث فيه الدمار وتحل به الموت الزؤام" [2].

1- وأخيراً تتلألأ الشمس. ص 59 .

2- المصدر نفسه. ص 59 .

" لم ينسحب المجاهدون حتى أحلّوا به الدمار وأحدثوا به خسائر فادحة ،وزرعوا في صفوف المتحصنين به الهلع الشديد ... أمر القائد بمغادرة المكان ... لم ينتبه توفيق إلى ذلك ...استمر يغني برشاشته ...لم يشعر إلا ويد الضابط تجذبه في شيء من العنف ،وصوته يتناهى إليه :- هيا انسحب يا توفيق ..حربنا تعتمد على الخدعة ، والسرعة "[1].

" امتثل توفيق على مضض ، ولكن لا مفر من أن ينفذ وهو لا يفكر أنه أصيب بنوع بالارتباك ، وهو يضع سبابته على الزناد لقد تخيل نفسه وقتئذ أنه صار طائراً في الجو بلا جناحين ومع ذلك بقي معلقاً بين السماء والأرض لا يدري ماذا يصنع الله به في هذه المغامرة المرحة ؟ !...بهذا اعترف لإخوانه بعد أوبته في المعركة وهذه حالة في الواقع تحصل لكل واحد شارك أو يشارك لأول مرة في المعركة ".[2]

وهكذا نجح توفيق في الاختبار أثناء الهجوم على الثكنة العسكرية إذ كان الكاتب -هنا - يرسم لنا صورة المجاهد ،وهو في ميدان المعركة ،وهو في منتهى الشجاعة ، والقوة ، والاستبسال يحارب العدو ، ولا يرتد من هول المعركة ، من أجل دحض شك من يرتاب في هذا الأمر .

" وفي أسئلة بينه وبين نفسه أعاد توفيق ، ما كان يقوله المستعمرون من أن المجاهدون ... جنّ وليسوا إنساً ؟ ... وكيف لا يتساءل ويصاب بالذهول وقد رأى قذائف العدو تنصب عليه وعلى إخوانه انصباباً حين توجهوا إلى عملية عسكرية ... رأى هذه القذائف وهي تنفجر

1- وأخيراً تتلألأ الشمس. ص 59 .

2- المصدر نفسه، ص59 .

في الجو ،أو تنزل ثم تنفجر محدثة في الحالتين جميعا انفجارات مرعبة ، ومخلفة أضواء جهنمية في الأماكن التي تنزل بها " [1].

" سمع توفيق الانفجارات وهي تدوي في كل بقعة لم يتردد أن سأل أحد الرفاق من الذين كانت الحرب والتجارب قد حنكتهم:أليس لهذه المدافع القاذفة والسلاح الفتاك جدوى؟ أجابه رفيقه وهو يبتسم : لو كان يصنع شيئا أثرا لذلك كلما عاد مجاهدون من القتال " .[2]

" كان توفيق يتفقد الصفوف بعد كل انتهاء من عمليته ولكنه لم يكن يلحظ إلا جراحا في أوساط رفقائه واستشهادا لبعضهم". [3]

فهذا العمل الثوري الميداني الذي أنجزه توفيق برفقة المجاهدين ، دون أن يزعزعهم ، أو يؤثر فيهم شيئا أو يغير ملامحهم حتى، إنما هو نتيجة تمكن الوعي منهم بقضية الأمة الجزائرية ، والتي هي التحرر والحرية .

والشعب الجزائري لديه الوعي والإدراك الكامل لقضيته الوطنية ، بالإضافة إلى نضجه الوطني والثوري ،إذ هو على استعداد لإمداد الثورة ودعمها مادياً ومعنوياً ،بالإضافة إلى حب هذا الشعب الكبير للثورة والثوار وشغفه واعتزازه بهم .

كما أصبح الوطن هو الشغل الشاغل، وأصبحت الحرية هي تسابيح من حنايا الجزائر وأضحى الاستقلال هو المطلب، والمرمى .

1- وأخيراً تتلألأ الشمس. ص .60

2- المصدر نفسه، ص60 .

3- المصدر نفسه، ص60.

كانت التضحية أمراً مقضياً بالنسبة للجزائريين، لا مجال للتفكير فيها ، بل هناك مجال للتطبيق فقط لا مجال لحرية الاختيار ،هناك اختيار وحيد هو النضال.

- تضحية المجتمع : والمتمثلة في تضحية أسر عدة كأسرة الشيخ مبارك وأسرة توفيق.

-التضحية الفردية : هي تضحية الزوج في غياب زوجها وتضحيتها كأرملة في غياب زوجها .

- وكذا تضحية الوالدة : في غياب ابنها ، وغياب زوجها، وقد كان غياب زوج فريدة هو غياب للأنس ،غياب للحماية .

" فزوجة توفيق تقاسي الأمرين من الوحدة وتكابد العذاب والغرام من العزلة ... وبلغ بها اليأس مبلغه ، فودت أن لو لم تلدها أمها حتى لا تتعذب هكذا، ولا تتجرع كؤوس العلقم في صمت ...ولم يكن يفرج عنها ويبدد حزنها إلا ما كانت تسمعه من المذياع أو تقرأه في الجرائد ".[1]

"وكانت فريدة تطمئن نفسها وتعزيها أن زوجها قد يكون حيا يرزق ، فهي تعرف كثيرا من المجاهدين كانوا هم الذين أوقدوا شرارة الثورة عام 1954 ، ومع ذلك فهم مع من ينتظرون ، فلم يكن زوجها هو الوحيد الذي يختطفه المنون من بين المجاهدين بعدما ، اختطفته الثورة من ذراعيها ؟ ! ."[2] .

1- أخيراً تتلألأ الشمس ، ص61

2- المصدر نفسه. ص 62

" تناست فريدة وتجلدت ،وأشغلت نفسها بتلاوة كتاب الله وبمحاولات شعرية كانت تتغزل فيها بزوجها وتمدح أحيانا الثورة الجزائرية ... لم تستطع أن تنسى فأقبلت على نسج جلابيب الصوف للجيران والأهل ... أثارت شجونها ... ما دهاها؟... أهي شجرة من أشجار الصنوبر أو السر ولا تلد أثماراً "[1] .

وهكذا تقضي فريدة عذاباتها بغشاوة من الحزن والهم والكرب وتغوص في القلق والاضطراب ، بسبب شكها الذي لم يقطعه اليقين بأن زوجها استشهد أومازال يصارع الظلم ويصارعه .

" ويتضاعف حزن الزوجة أكثر حين تخلوا إلى نفسها وتعيش في غرفتها المظلمة المليئة بالبق على الرغم من المحاولات التي قامت بها للقضاء عليه فقد أوقدت الدفلى لم تكن هذه الحشرات لتحول بينها وبين التفكير في زوجها وكل شيء يوحي إليها بأنه هو ، كل حركة تصل أذنيها من الخارج توهمها بأنه هو".[2]

" ثم تأتي الأفكار السوداء التي توهمها بعدم جدوى هذه الحياة وأهميتها إذ كان المرء يشقى فيها ويتعذب ؟ تسأل الزوجة نفسها أن هذه الحياة التي نشقى فيها ونتعذب ؟...لم كان جيلنا بالذات هو الذي يؤدي ضريبة الدموع والآلام والدماء ، ... ألم يكن في الإمكان أن ينتظر الزمان سنوات أخرى حتى ينقضي هذا الجيل التعس ؟ !..."[3].

1- وأخيراً تتلألأ الشمس ، ص62.

2- المصدر نفسه. ص 63

3- المصدر نفسه. ص 63

" تعود الزوجة بعد هذا إلى رشدها قائلة بل علي أن احمد الله أولاً ،لولا الثورة لما التقيت بتوفيق، ولما عرفني ...ثم لا يهمني أن أشقى الآن ليستريح أولادي وأحفادي...". [1]

وهكذا تواصل فريدة بين القوة واليأس ، إذ عند سيطرة الهواجس عليها تذبل ،أما في لحظات تجلدها ، وصبرها وشجاعتها فهي تقوى .

ولكن واقعية المجتمع تفرض عليها المعاناة عنوة إذ تسعى فريدة في شقاء من أجل التغلب على التعاسة والأحزان والآلام التي تسببها لها المضايقات لفريدة الطالبة للزواج بعد انتشار نبأ وفاة زوجها .

" لقد فقدت الوالدة وحيدها وعلمت أن ابنها الغالي قد استشهد في معركة ضارية ..وعند ذلك لم تجد أفضل من الوادي المجاور لسكنها .. كانت قد أمته زاعمة لكنتها أنها تبغي جمع الحطب .. وعلى مرأى من ضفتيه وعلى مسمع من خرير مياهه بكت ... ثم بكت لم تشعر أن أحدا ساعدها على البكاء أو رق لحالها."[2]

لكن رغم نية الوالدة في إخفاء الحقيقة على زوجة ابنها إلا أنها تفشت ،فغشيها الحزن وضاقت بها الأرض بما رحبت ،وصعقت بهذا الخبر الفاجعة.

وبعد مدة ، وبعد تفشي نبأ وفاة زوجها بدأت عروض الزواج تضايقها ، والأقوال تؤلف حولها،إذ لم يبصروا هؤلاء الحقيقة الساطعة التي من أجلها استشهد المخلصون من أمثال توفيق،الذين تفهموا واجبهم الوطني .

1- وأخيراً تتلألأ الشمس ، ص63 .

2- المصدر نفسه.ص 63.

" والذين قد ارتووا من معين نبع التحرر الفياض وتشبعوا بمزايا التضحية من أجل أن يحيا الآخرون بشرا سويا لا يستعبدهم إنسان آخر مثلهم لحما ودما ،ولكنه أفضلهم قلبا وأقساهم معاملة،فيه نزعة شيطانية إلى الهيمنة والاستعباد والإذلال."[1]

" ولم يمض على نبأ استشهاده قرابة العام حتى بادر الناس إلى الحماة وإلى الأب طالبين يد فريدة ،وهم متظاهرون بالبصيرة النافذة ،والعقل المتزن ،والتفكير الرزين "[2]، ولكن كان الصبر من شيم فريدة التي تتميز بالعقل المتزن والتفكير الرزين.

" وكانت الزوجة ظاهريا تتحدى القوم ،وتعصف بعواطفهم ومشاعرهم،لكنها في وليجتها كانت توطئ نفسها على الصبر ،وتحدثها بأن الاستقلال لما يظل أوانه بعد ،وما يدريها أن هذا الخبر كذبة أبريل وأن زوجها حي يرزق".[3]

كانت توهم نفسها بالإيحاءات الكاذبة وبالمناجاة الخيالية،من أجل أن تخفف عنها هول الصدمة ،وتعزي نفسها بأنها زوج شهيد،وتعوض إحساس الألم بإحساس الفخر،والاعتزاز.

" وما يلاحظ في الرواية أنه حتى الطبيعة والجماد تفاعلا مع الثورة ،إذ أخذت المدافع الرشاشة تغني بلحن يطرب المجاهدين،ويرهب المستعمرين ...هذه المدافع مما وقع غنمه في المعارك،وهي على شكل الرشاشة الصغيرة ،انطلقت البنادق المتنوعة،والأسلحة الخفيفة الأخرى

1- وأخيراً تتلألأ الشمس.ص 68،69 .

2- المصدر نفسه. ص 69 .

3- المصدر نفسه. ص 71 .

ترسل رصاصها المحمر القاتل ،في الوقت الذي كانت فيه مدافع الهاون تبعث بشظايا نيرانها لتقع قذائفها على جدران المركز فتحدث فيه الدمار وتحل به الموت الزؤام"[1]

هذا عن تفاعل الطبيعة والجماد مع الثورة ،أما عن اندماج المجاهد في الطبيعة فنرى انشغال "توفيق" باحتضان الأشجار والأحجار وغيرها من مكونات الطبيعة .

" فمنذ اليوم الأول انشغل توفيق بالجيش وحب الوطن واحتضان الأشجار والأحجار ونسي حنان الزوج وأمومة الوالدة أو كاد فقد طغى هيام الوطن على كل هيام سابق ،وأزال من فؤاده كل صبابة تسكنه من قبل " [2] .

" نامت فريدة فإذا هي ترى زوجها في المنام متزينا بثياب خضراء قشيبة ... أرادت أن تدنو كان يطير بجناحين في الهواء كطائر جميل خفيف ... نادته ... فتحت ذراعيها لتحضنه ... لم يلبّ طلبها ، لم يحفل بندائها ، لم يكترث لحسراتها وآهاتها ... انطلق عاليا فظلت تشيعه ذاهلة وهو يتوارى عنها ".[3]

" وظل زوجها يبتعد عنها ويتوارى حتى عشي نظرها وكل بصرها ... صاحت. توفيق ... توفيق ....توفيق...استيقظت منزعجة على هذه الرؤيا لم تملك نفسها هذه المرة ... فسرت حلمها بنفسها ... انه استشهد ،وهو في الجنة يتنعم بالخلود !! ما أشقاها !...".[4]

1- وأخيراً تتلألأ الشمس.ص 68، 99.
2- المصدر نفسه. ص 61.
3- المصدر نفسه. ص64 .
4- المصدر نفسه. ص64 .

في هذه الرؤيا الاستشراف والسبق للأحداث إذ أن خوف فريدة على زوجها جعلها ترى في مناماتها ما يزعجها عنه ولما رأت الرؤيا ، فلا وجه لتفسيرها إلا ما خطر في بالها ، وهو استشهاد زوجها ، نهتها حماتها عما هي فيه من حال وواستها.

" أفهمتها حماتها أنه ينبغي لها أن تفرح ،أن تطرب ،أن تبسم ،كلما لقيت صويحباتها ، أن تسير مرفوعة الرأس عاليته ... ثم قالت لها في لهجة خافتة يغلف حواشيها الحنان ألم تقدمي مهجة فؤادك وشريك حياتك قربانا للثورة ؟ أحست فريدة براحة ، فألقت برأسها عليها والعبرات ما تنفك تخنقها ؟" .[1]

" اغتنمت الحماة الفرصة بعد أن آنست منها طمأنينة ،وواصلت مواساتها قائلة لها اطمئني .. إنه لو استشهد ...قاطعتها فريدة محتجة مستنكرة، منتفضة من مكانها ،في ذعر منتصبة في ثورة : - لا ، لا .. لا تقولي ما قلت ومدت راحتيها الناعمتين إلى فم الحماة تبغي إسكاتها ... نحتها عنها في هدوء ".[2]

" قالت لها حماتها بكل حزنها العميق ، والداخلي ، وبكل انكسار واكتئاب أنا قلت ... قلت ...قلت حتى ... لو استشهد ! ... فان روحه زهقت في سبيل الله ودمه من أجل تحرير وطنه من الأنذال ! ...استحيت فريدة من نفسها ،ومن موقفها هذا فجففت عبراتها ،وابتسمت ابتسامة شاحبة ،تكدرها آثار الحزن والدموع ". [3]

1- وأخيراً تتلألأ الشمس. ص 64-.65

2- المصدر نفسه. ص 65.

3- المصدر نفسه. ص 65.

في هذه الصور الحزينة الكئيبة، ترسم معالم وملامح المشهد المأساوي الذي تعيشه كل من فريدة وحماتها، إذ آثار الخدوش العميقة والأحزان المضنية، تنحر عميقا فيهما، بجروح لا تندمل، فهذه المشاهد ،هي صور للتضحية ، تضحية المجتمع الجزائري، بكل فئاته من أجل وطن حر، واستقلال أرض ،وكرامة شعب،وعزة مجتمع، من أجل جزائر العزة والكرامة، والمجد، والفخر والحرية، من أجل هاته الأرض التي تستحق هذه التضحيات.

1-3: القضية الوطنية:

لما نادت الجزائر أبناءها أقبلوا عليها يفدونها بروحهم وأموالهم ، وأنفسهم ، وحياتهم ،لم يتوانوا عنها ولم يخذلوها ، لبوا نداءها بكل إخلاص ووفاء وثقة قطعوا العهود لها ، ووفوا من أجل أن يطهروا أرض الجزائر من سيطرة المحتل الذي عاث فيها فسادا ،كانت نيتهم خالصة لله : الشهادة أو الاستقلال فاستجيب لهم ما طلبوا فمنهم من قضى أجله ومنهم من ينتظر ،وتعرض هذه الرواية مشاهد من أيام النضال ، يوم استجاب الشعب كله لنداء الوطن الأبي، إذ لم يرض هذا الشعب عن الحرية والاستقلال بديلا، لهذا الشعب أنفة، كبرياء، حرية وشهامة وكرامة وعزة ، بالإضافة إلى الدين، والإسلام، والإيمان، والمبادئ،لهذا الشعب عروبة ونخوة، كل هاته المعطيات جعلت من هذا الشعب شعبا غير قابل للاستعمار والاستعباد والسيطرة والاستبداد.

وبالتالي لا بد من الدفاع والذود عن الوطن لينال الحرية ومن هذا المنطلق تكشف الرواية جانبا من هذا الوضع .

فالشعب بكامله، بكل فئاته، بكل أجناسه، وطبقاته استنفر قواه واستجاب لنداء الواجب الوطني ، فالاستجابة لنداء الوطن كان هو الشغل الشاغل للجزائريين.

" وجسدت الرواية هذه الأمور في عدة مواضع ، ومن ذلك أن جاء في الرواية على لسان الشيخ مبارك تركت كل شيء : الحبوب في المطامير ... الأثاث كسر وألقي به إلى كل جهة ... حتى البغال التي كنت أعول عليها ... سعيد لأني ضحيت بمملكتي وبمنزلي في سبيل الجزائر ".[1]

" إن عائلتي ليس فيها إلا الضعفاء شيخ وعجوز وبنات ؟... إنها إرادة الله يا بني،هو الفعال لما يريد ثم التفت إلى توفيق والعبرات تخنقه، وقال بصوت متهدج".[2]

"قال الشيخ مبارك لتوفيق في إيمان بالله واستسلاما له وفي رضاء لقضائه اللهم لا اعتراض على قضائك ، ولكنها رغبة الإنسان في الخلف منذ الأزل إلى الزوال ... ألم يلتمس النبي زكرياء من الله أن يرزقه غلاما يرثه ويرث آل يعقوب ؟..".[3]

وهكذا يتضح من خلال ذلك أن أشخاص هذه الرواية لديها ثقافة إسلامية ، عربية وطنية ، تجعلها تتأسف على عدم قدرتها على دفع الأبناء للمشاركة في الحرب وهي أصلا ليس لديها أولاد لتزج بهم في الحرب ، وهذه أكيد أنها أفكار الكاتب ،وكيفية تفكيره ، بالإضافة إلى أن

1- وأخيراً تتلألأ الشمس . ص 27

2- المصدر نفسه. ص 27.

3- المصدر نفسه. ص 27.

وصول التضحية إلى هذا الحد لا يدل إلا على عظم الاستجابة لنداء الوطن وهبة أفراد الشعب لأداء الواجب الوطني ، بكل نفيس وغال.

وما جاء عن شخصية الشيخ مبارك يدل على تمكن الكاتب من تحقيق انسجام داخل الشخصية بالواجهة ، فالشخصية المسلمة ، يظهر عليها ذلك في كلامها وتصرفاتها .

" وقد استشف توفيق من كلام الشيخ مبارك أن ثقافته الإسلامية غنية ، وذهب به تفكيره في أن يكون قصد الشيخ مبارك من وراء كلامه ،هو أن توفيقا في ريعان شبابه ،ما الذي يمنعه من الالتحاق بالجيش إن الجيش في حاجة إلى من هو مثله ... إنه بإمكانه تعليم إخوانه المجاهدين الأميين القراءة والكتابة ...طّوحت به الأفكار بعيدا كدأبه كلما فكر في الانضمام إلى الجيش التحرير ، ونسي ما كان يحادثه به جليسه".[1]

"ومن الاستشرافات الموجودة في النص أن فريدة قالت في حديث مع أبيها وتوفيق عن الفقر وسوء المعيشة علي أن اشترط ذلك يوم ترتفع الراية خفّاقة وسأتقدم عندئذ إلى الدولة بمطالبي ... أما الآن ، فإني لاجئة ... نعم لاجئة... ولا شيء غير هذا..."[2]

هذا الاستشراف للمستقبل ، وهذا التنبؤ ،وهذا الاستباق يدل على القراءة الواضحة للمستقبل ، ويدل على الإيمان القوي بالنصر والحرية والاستقلال وفي هذا الاستشراف نرى تأكد الشعب الجزائري من الحرية ، والاستقلال إذ لا محالة من أن يكون مآل هذا الوطن هو النصر

1- وأخيراً تتلألأ الشمس.ص .27

2- المصدر نفسه. ص 30.

والاستقلال ، ومما يستشف من هذا الاستشراف المستقبلي هو وضوح الرؤية ، فالشعب الجزائري شعب واعي ومدرك يعرف ماذا يفعل وما عليه فعله .

" وكيف لا يستجيب الشعب لنداء الواجب الوطني وهو يرزح تحت وطأة الاحتلال ، ويتعرض لألوان العذاب والإذلال، والسجن والاعتقال في المحتشدات ، والتي يتعرض فيها الشعب إلى لفح الشمس، والجوع وجفاف الحلق عطشا ،لكن إيمانه الصلب بانتصار الثورة كان أكبر من هذا كله وكان أعظم من هذا التمسك بحبل الله والاعتصام به، والأمل المتين والكبير في الله عز وجل وجلت قدرته ، في أن يخلص أفراد هذا الشعب من هذا العذاب والتنكيل ،والله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير"[1]. فالإيمان بالله وبنصره هو الذي يلهم جلد الصبر ويقوي العزيمة، ويحث على الثبات.

فالله سبحانه وتعالى قادر على قلب الموازين وسحب البساط من تحت أرجل العدو وقادر على إرجاع أسفل الأرض أعاليها ، فهو الخالق والقادر على تدمير وهزم الاحتلال وتحرير أرض الجزائر الإسلامية .

" ولم يمض الشيء الكثير على زواج توفيق بفريدة حتى أخبرها بضرورة ذهابه إلى أرض المعركة وبذلك استجاب لنداء الواجب الوطني من أجل تحرير الجزائر وبدأ ذلك عندما انخرط توفيق في الجبهة ولما أخبر زوجه بالتحاقه بصفوف جيش التحرير لم تستطع إخفاء قلقها لكن سرعان ما أعانته زوجه الواعية المدركة لحاجة هذا الوطن لأبنائه وأدركت ضرورة أن تعينه

1- وأخيرا تتلألأ الشمس .ص 42 ،43 .

وذلك بأن تدعمه من أجل شد عزائمه، بغية الدفاع عن الوطن، الذي يغتصبه المحتل فتوفيق عزم على العمل الثوري والنضالي ، واضعا نصب عينيه الحرية والوطن والاستقلال وضرورة الدفاع عنه.[1]

" وبالرغم من صغر سن توفيق إلا أن رغبته كبيرة في المشاركة في صفوف الجيش مع أن القادة كانوا يفضلون الراشد المحنك لكن ، استطاع الالتحاق رغم المعارضة ،وفعل المستحيل وبذل الجهد من أجل الحصول على سلاح وقد كره أن يبقى دونه، يحمل ذخيرة فقط ".[2]

يمثل توفيق نموذجاً للفرد الجزائري في حبه لبلاده وحبه للاستقلال والحرية ،ورغبة هذه الفرد في صناعة الانتصار وفي صنع قرار الحرية فالعوالم الإنسانية للفرد تمنحه القدرة على صناعة وتحقيق الاستقلال والاستقرار في البلاد .

"إضافة إلى هذا ، فالإنسان الجزائري يخجل من أن تلحقه وصمة عار التخلي عن البلاد والتضحية من أجلها وذلك ما ورد في الرواية عن توفيق بأنه يعلم أن واجب الوطن أغلى وأكبر وأعظم من دموع تنهل على الخدود تجف مع مرور الأيام ، بل قد تنضب مع مضي دقائق وثوان ... بينما دموع الوطن تبقى مهراقة ، تجري من المآقي غزيرة فتشكل أودية عظيمة ، تتحول قبل إرشاد الطرف إلى دماء قانية".[3]

1- وأخيرا تتلألأ الشمس. ص 50 ،51.
2- المصدر نفسه . ص 52 .
3- المصدر نفسه . ص 52 .

" فتقوم هذه الدماء القانية بتلويث جبين كل متوان عن التضحية وتلتصق بثوبه وتغشى عينيه ، فلا تبصران إلا غيوماً رمادية ، كثيفة "دكناء ... كان في وسعه أن ينساق وراء العاطفة الجياشة فيقبع إزاء الزوج الحنون المتلهفة عليه والوالدة الرؤوم الحدوب عليه ، وهو الغلام المراهق الذي لم يبلغ سن الرجولة بعد". [1]

" فسنه هذه ينظر إليها قادة الجيش أنفسهم بشيء من الفتور لأنهم كانوا يبتغون الراشدين القادرين المحنكين ، ولكنه التحق بالرغم من المعارضين جميعا ".[2]

فهذا البطل لم تعيقه سنه الصغيرة في الانضمام لصفوف جبهة التحرير الوطنية بل يخجله أن يكون شاباً قادراً قوياً ولا يلتحق بالمجاهدين ، فهذا هو الذي لا يريده ، أما كونه صغيراً فهذا لا يعنيه المهم أنه يشارك ويحجز مكانه ضمن الجبهة وليس مع المتوانين عن تحرير الوطن .

" ومن رغبة توفيق في الانضمام إلى الجيش أنه يتحرق للمجاهدين ، حيث جاء في النص عن هذا تحرق كثيرا إلى إخوانه المجاهدين ... لم يجد هذه المرة معارضة من والدته ... فقد غدا رجلا أو على الأقل شاباً مفتول الساعدين ... عقله رصين اشتهر برزانته بين الإخوان والجيران ... كيف تخاف عليه من الاتصال بالمجاهدين ؟!". [3]

1- وأخيراً تتلألأ الشمس. ص52.

2- المصدر نفسه. ص52 .

3- المصدر نفسه. ص 35

ويواصل توفيق تفكيره في الكيفية التي يتحصل بها على السلاح، إذ يجعل بذلك موضوع الانضمام وحيازة السلاح هو الموضوع الذي يهيمن على كيانه ، ربما يكون ذلك مرده إلى أن توفيقا يتمتع بوعي وإدراك للواقع النضالي، و لديه أحلام وطموحات يريد تحقيقها .

ويمثل توفيق الإنسان الجزائري، الذي تفاعل مع الثورة وصنعها ، يمثل توفيق الجزائري المحب لوطنه، توفيق في نهاية كل هذا ليس أسطورة، توفيق قصة حقيقية وهو الشخصية البطلة في هذه القصة، والجزائر هي المكان والزمن هي سنوات حرب التحرير أما الأحداث، فهي الصراع بين الخير والشر، بين أصحاب الأرض ،والعنوان الذي يجمع كل هذا هو الوطن.

"يواصل توفيق ثورته الثقافية أو ثورته الفسلفية فيقول ما جاء على لسانه في النص إني جزائري وهي أيضا جزائرية بالرغم من أننا متباعدان أصلاً ومنشأ ... أوه ... هذا لا يهم حسبي أنني جزائري ، بعد اندلاع الثورة لم يبق مكان لتلك الفوارق التي كانت كثيرا ما تؤدي إلى المشاحنة والخصام بين القبائل ".[1]

والثورة عند توفيق هي الشيء المشترك التي تذوب فيه الفوارق وتفنى وتتلاشى وتضيق فيه الفجوات ،ويوجد فيه الشعب وفيه تتحول الخلافات إلى مودة ورحمة وسكينة وتآلف أما الوطن فهو الذي يسكن كل مواطن ويسكنه .

" ومن صور حب الشعب للوطن الغيرة على الثورة والثوار وحبه وشوقه لأخبارهم، وفي الرواية استفسرت عجوز مجاهدا كهلا عن كيفية عيشه في الجبال وعن استبساله وقوة عزيمته،

1- وأخيراً تتلألأ الشمس . ص 20.

تقاعد هذا الرجل في بيته نتيجة سعال أصابه ولم يفارقه ، وإذا بقي الرجل على هذه الحال، سوف يكشف أماكن الثوار للعدو لكن هذا الرجل سي احمد لم يكن يتكلم أو يخرج إلى الناس، أو يفشي لهم أسرار الثورة وتنظيماتها وعدد جنودها وسلاحها، ومن كان يزورهم وخططهم وقادتاهم، فالكل كان يتعاون على نجاح الثورة، وتحقيق النصر، وهذا المجاهد المخلص لم يكن يتكلم عن أي شيء يخص الثورة أو الجيش من تنظيمه ولم يكن يخوض في مراكز الثورة أو معاركها أو أي شيء يتعلق بالمجاهدين وأعمالهم ونظامهم". [1]

فالثورة هي كتلة من المعاني والصور، فهي الجهاد ، والغيرة على الوطن، وعلى الثورة والثوار وهي إرادة تغيير الواقع، الثورة هي العمل بإخلاص وتضحية من أجل الوطن الثورة تعني الشجاعة لا الاندفاع بحماس فيصاب هذا الحماس بالفتور ثم يخبو شيئا فشيئا، الثورة تعني الاستمرار بشجاعة وبخطى رزينة في مسيرة تحقيق الهدف المنشود، وهو الاستقلال والحرية، والعيش في ظل العزة والكرامة.

وواجب الكفاح والنضال هو نفحة من روح الوطن وقبسة من نوره ،هذا الواجب ليس له صورة واحدة، بل هو متعدد الأوجه والجوانب .

أما الواجب، والثورة فهما وجهان لعملة واحدة هي الوطن ،هذا الواجب يمثل الضمير الوطني، وصوره مستمرة حتى بعد الاستقلال، وإلى الآن مازال ،ستبقى هيبة الوطن محفورة في تجاعيد الذاكرة الوطنية، وذكرى التاريخ والزمن، فالجزائر تظل في ذاكرة كل مواطن جزائر .

1- وأخيراً تتلألأ الشمس . ص 33-34.

"وهذا ما عبرت عنه الكتابات الجزائرية خصوصا ذات المسحة الوطنية ، والروح الثورية وهذا ما تجسد في شخص "توفيق" الذي قدم نموذجاً للشخصية الجزائرية الثورية، مقارنة بالشخوص الروائية الثورية العربية ولا زال صدى كلماته يعبر عن موضوع الرواية هذه الكلمات اختصرها في عبارات الوداع التي ودع بها زوجه ووالدته قال...ولكن ، ما حيلتنا ووطنا يريدنا جميعاً أن نقوم بالدفاع عنه ؟... ما قولنا للحرية المفقودة وهي تنادينا كل يوم أن نسترجعها ؟ ليس الآن يا فريدة ... الوطن أكثر احتياجا مني إليك ...".[1]

يبين هذا القول عن إدراك الإنسان الجزائري ووعيه بقضيته وواجبه ودوره حيال وطنه ، فما دام الوطن يريدنا فنحن أيضا نريد ما يريد، نريد أن نلبي النداء ويتساءل توفيق ماذا سنقول، وماذا يكون ردنا، والحرية تريدنا أن نخلصها من أسر المحتل والمعتدي المغتصب، ويضيف توفيق لزوجه أن الوطن بحاجة إلى دعمها ووقوفها أكثر منه هو، وفي هذا وضوح لمفهوم الوطن والوطنية، والثورة عند الإنسان الجزائري بحكم التجربة الوطنية، التي حنكت هذا الشعب وجعلته يتعلم ويستفيد منها.

يعيش الشعب الجزائري في أحداث هذه الرواية الهيام والأحلام بتحقيق الحرية والاستقلال ،وتجربة العيش تحت كنف الاستقلال، في بلد حر، لم يبق للاحتلال سلطان، فالشعب أيام الاستقلال سيد نفسه، يحكم نفسه بنفسه، لا أحد يسيره ،أو يسير ثرواته فالوطن للجميع، هذا الجميع حرفي وطنه لا يبغي عنه بديلا ولا يتأتى هذا الحلم بالاستقلال إلا بالعمل الثوري الميداني الذي فعلا –يجعل من التحليق ،واقعاً حياً ،ملموساً، يعيشه الإنسان الجزائري .

1- وأخيراً تتلألأ الشمس . ص 51

"وفي مناجاة فريدة زوج توفيق لنفسها في هذا الشأن، ،تذكرت أن عاما مر على ذكرى زواجهما، فيا لها من ذكرى مشؤومة مليئة أحزانا وأشجاناً ...فبأي جديد ستعود هذه الذكرى في العام المقبل ؟ باستقلال الجزائر التام وبالحرية الكاملة وبظهور الراية الخفاقة المرفرفة على ربوع وطني الحبيب ، أم بنعي زوجي الغالي وامتداد أجل الثورة ؟ ".[1] .

هذه الأحلام التي راودت فريدة هي أحلام مستقبلية استشرافية، تعبر عن رؤية للمستقبل في ظل معطيات الواقع، وهي رؤية متذبذبة، متأرجحة، أو هي أحلام متقلبة، بين وقائع معينة، ونتائجها، وبين أحداث مسطرة، وما سيعقبها .

فتتساءل فريدة عما سيقدمه العام المقبل، إذا كان هذا العام بهذا الحزن، هل ستزيد الجراح والآلام والأحزان والشجون، والشؤم.

هذا من جهة أما من جهة أخرى ،تضع فريدة احتمال الاستقلال التام، والحرية الكاملة ،هل سيحمل قدوم العام المقبل هاته الاحتمالات ،هل سترى الراية الجزائرية عالية على كامل التراب الوطني ؟ هل ستخفق هاته الرايات في وطن حر، مستقل ينعم بالسيادة الكاملة على نفسه وأرضه وأفراده وثرواته .

وتريد فريدة كغيرها من أبناء هذا الوطن الحرية التامة والاستقلال التام، يعني حتى الحرية الجزئية لا تريدها لأن ذلك لا يجدي نفعا، وكأن كل التضحيات التي بذلت من أجل الوطن ، كأنها ذهبت أدراج الرياح .

1- وأخيراً تتلألأ الشمس . ص 63-64.

وتواصل مناجاتها بالاختيار الثاني وهو أن يكون العام المقبل، عام نعيها زوجها ، وامتداد الثورة وفي هذه الجزئية نرى – بشيء من الملاحظة إن فريدة لديها، ما تريد تحقيقه، فهي تريد أن يعود زوجها ، فإذا لم يعد زوجها ،وامتدت الثورة، فتلك سعادة لأنها ستفخر بزوجها الشهيد ، رغم حزنها عليه أما إذا استشهد زوجها وامتد أجل الثورة، فتلك كارثة ومصيبة أعظم وأجل وآلم .

بالإضافة إلى ذلك ،فريدة كأفراد الشعب الجزائري متيقنة من الحرية ونجاح الثورة ،ولا ارتياب أوشك يخالط النفوس الجزائرية في ذلك، فحتى هاته الاحتمالات كانت غير واردة ولو بفرض الاحتمال أو تجوال فكر، فالاحتمال القائم هو الانتصار فقط، وهذا يظهر من خلال أسلوب كلامها.

" أما في موضع آخر من الرواية فقد جاءت عبارات الحماس والتعزيز والدعم لا تدهشوا ولا تفشلوا ... الله معكم ... والنصر للجزائر " [1]

وهذه العبارة أيضا تعلن الحلم الجميل أو الصعب والذي سيتحقق بالتأكيد ،وهو حلم الاستقلال ،وهو النصر الذي لا محالة منه ، ومن حلوله .

فالجزائر مغتصبة ، وحقها مهدر ،وحريتها مقيدة فكيف كل هذا الظلم ولا يأتي يوم على هذا الظلم فيمحقه الحق ، وكيف يكون هذا الاستبداد والإذلال ولا يكون الفرج والحرية

1- وأخيراً تتلألأ الشمس . ص 58 .

والاستقلال ، صحيح أن ظلام الليل طويل ، لكن الأكيد أن ينتهي هذا الليل بفجر ، بأمل، فبطلوع هذا الفجر ، أخيراً تتلألأ الشمس وفي هذا التعبير تلويح بالاستقلال.

" وورد في الرواية على لسان فريدة علي أن أشترط ذلك يوم ترتفع الراية خفاقة وسأتقدم عندئذ إلى الدولة بمطالبي ... أما الآن فإني لاجئة ...نعم لاجئة ... ولا شيء غير هذا " [1].

هنا فريدة في حديث لها عن رغد العيش الذي تعيشه إحدى النساء اللاتي يتواجدن في القرية تقارن ذلك بفقرها ،وتريد أن تشترط يوم تتقدم البلاد بأن تعيش في سعة رزق وبأن تتقدم بمطالبها إلى الدولة .

ومن خلال هذا يتضح أن حلم الاستقلال يراود كل جزائري، ولا شك في أن هذا الحلم سيتحقق وهذا ما قصدته من خلال عبارتها يوم ترتفع الراية خفاقة.

لقد عمل الشعب الجزائري بكل شرائحه وفئاته على تجسيد وتحقيق حلم الاستقلال وعمل من أجل إحراز النصر، وبذل هذا الشعب السعي الجاد والعمل الثوري، الذي فتح أمامه أفق النجاح، فتوفيق وأسرته قدموا التضحيات الجسام ككل أفراد الشعب من أجل الوطن ، فقد غاب عن والدة توفيق ابنها.

" بالإضافة إلى تضحية فريدة بزوجها، وقد أفهمتها حماتها هذا الأمر وأنه ينبغي لها" أن تفرح، أن تطرب أن تبسم كلما لقيت صويحباتها، أن تسير مرفوعة الرأس عاليته ... ثم قالت

1- وأخيرا تتلألأ الشمس . ص 30.

لها في لمحة خافتة يغلف حواشيها الحنان ألم تقدمي مهجة فؤادك وشريك حياتك قرباناً للثورة؟"[1]

فهذه الشخصيات هي عبارة عن نماذج وأمثلة للجزائريين الذين ضحوا من أجل الجزائر، وبذلوا كل شيء من أجل حياة الحرية والاستقلال ، وقدموا الكثير عربون محبة الوطن، فوجه الوطن الحزين وهو يرزح تحت جرائم الاستعمار، جعل كل مواطن جزائري يشارك في تقديم العون وفي خلق التلاحم والانسجام الذي يوطد الجهود ويوحدها، للقضاء على الأجنبي الغريب.

ويواصل الإنسان الجزائري أحلامه الكبيرة والعظيمة إذ سعى إلى تحقيق الحرية والاستقلال ودحض الظلم ودفع الذل ورفعه وأحلامه فيها الواقع كما هو، فيها الحلم الذي تتخلله الابتسامة والحزن هي أحلام من لا يسكن الوطن ويسكنه .

ولا يهم هذا الجزائري إذا استشهد أم بقي على قيد الحياة ، إن كان ذلك من أجل تحقيق الحرية والاستقلال ،وطرد المستبد من الأرض الإسلامية والعربية وإحلال السلم والسلام والأمن والأمان.

" وقد جاء في ثنايا هذا العمل الروائي الحديث عن الشهداء تكريماً للذاكرة الثورة ، إذ ورد على لسان الحماة مواسية زوجة ابنها في مصائبهما إن روحه زهقت في سبيل الله ودمه أزهق من أجل تحرير وطنه من الأنذال ".[2]

1- وأخيراً تتلألأ الشمس . ص 61-65.

2- المصدر نفسه. ص 65.

وفي هذا السياق مرة أخرى يتبين أن الوالدة تعيد تذكير زوجة ابنها بأن عزاها في زوجها هو أن استشهاده في سبيل الله ، و تؤكد الحماة أن دم ابنها . لم يذهب هدراً وإنما في سبيل تحرير الوطن من الاحتلال .

وتبقى كل هذه التضحيات ذاكرة وشاهدة على التضحيات المبذولة من أجل الوطن ومن أجل تحريره ومن أجل رفع الراية الجزائرية فوق كل ربوع الوطن الجزائري .

" ثم تواصل فريدة تذكير نفسها بما بعد الاستقلال وتفكر ماذا ستحمل لها هاته الأيام كانت تتعلل بهذا الأمل الواهي كلما خلت إلى وحدتها المعهودة ، وتناجي نفسها بأنها زوج شهيد ،وحرم الشهيد كانت وستظل محارمه مبجلة في أعين الناس ، والدولة ، هي التي ستتكفل بها انفاقاً ورعاية عندما يبزغ نجم الصباح...".[1]

وهنا فريدة تناجي نفسها بالحياة السعيدة ، بعد الاستقلال ،وكيف أنها ستظل محترمة لكونها حرم شهيد، فالشهداء وحدهم لا يموتون ، ذكراهم تبقى دوماً حية ونلاحظ هنا أن وقار واحترام وحب الشهيد يبقى محفوظا.

وهنا مشهد آخر من مشاهد اليقين بالحرية والاستقرار والرؤية الواضحة للمستقبل المشرق واستباقة زمنية فيها من الأمل بقدر ما حمل المجهول للجزائريين في تلك السنون.

" ستستمر فريدة في مناجاة نفسها قائلة عن دولتها المستقلة وحمايتها لها مما قد يحمله المستقبل المجهول ستحميها من أوباش البشر ... فماذا تبتغي أكثر من هذا؟ ... ويوم يستقل

1- وأخيراً تتلألأ الشمس. ص 71.

وطنها الحبيب، قد يتغير رأيها في الزواج ولكنها في الحالات جميعا لن تقترن إلا بمجاهد عاش في الجبل وقاوم وتعذب في سبيل بلاده .."[1].

" ويستمر الحديث عن تصور فريدة ووضعها بعد الاستقلال ستبقى وفية لمبدئها الأول ولو بعد عشرين عاما " .[2]

وهنا صورة مستقبلية لحياة فريدة في ظل الاستقلال، وفي حالة استشهاد زوجها ، ونرى كيف تعلل لتزرع في نفسها الأمل وهنا نلاحظ استمرار النظرة اليقينية للمواطن الجزائري بالاستقلال.

نلاحظ –هنا- إشراقة الأمل في المستقبل الذي يغير حياة الناس، ويغير حتى آراءهم ، ويسمها بروح تفاؤلية .

تقترب ساعة النصر شيئا فشيئا ويبتعد الحلم عن الحقيقة لتبقى مساحة للأمل وللعمل ،من أجل إقامة صرح من النصر والانتصار والحرية والتحرر لتبقى هناك مساحة للعمل فقط من أجل تحويل الحلم إلى رؤيا حقيقية متجسدة فوق أرض الواقع .

وهذا الوعي الوطني ، والضمير الثوري الذي يمتلكه الشعب، لابد أن يأتي – حتما وقطعا وأبدا – بنتيجة ، فالوعي الوطني بالتمسك بالأرض والدفاع عن الوطن ، لا بد أن ينتهي به المطاف إلى الاستقلال، بعد أن طالت وامتدت مدة الثورة إذ يجوز أن يصل الليل إلى أبعد

1- وأخيراً تتلألأ الشمس .ص71.

2- المصدر نفسه، ص 71.

مدى، لكن شعاع النور لا بد أن ينير ، ولا بد لأشعة الحقيقة التي لاحت أن تكون محرقة ، بعد ما تعمد تمويهها بالغربال.

" في الرواية، الجزائر تسير على خطوات النصر وتقترب من الخلاص، فقد أخبرت فريدة حماتها بأن الاستعمار الفرنسي يخضع لجبهة التحرير الوطني، ويوافق على أن تجرى المحادثات في بلده ؟! ...سألتها الحماة ، ما معنى المفاوضة يا بنيتي ؟ سدرت كيف تشرح لها " [1]. " شرحت لها فريدة بأن معنى كلمة المفاوضة التفاهم أو الجلوس إلى بعضنا بغية بحث مشكلة ما ، ثم التوصل إلى حل مرض للطرفين !" [2] .

" وفي سلسلة المراحل التي استغرقها الاستقلال وفي المراحل الأخيرة لميلاده دقت ساعة منتصف نهار التاسع عشر من مارس 1962 فأعلنت دقاتها نهاية القتال في الجزائر بين المجاهدين والاستعمار ، فدق قلبها مع عقربي الساعة وصفقت يداها وارتفعت حنجرتها الساحرة بزغرودة ، بل بزغاريد دوّت في الفضاء وشقت عنان السماء ، كما كان رصاص زوجها يزمجر فيبيد الأعداء ".[3]

إذن وأخيراً تتلألأ الشمس، ويتحقق الحلم ويصير حقيقة، وأخيراً يبزغ فجر الحرية، وتبرز آلاء الاستقلال بعد توقف القتال الذي يعد خطوة هامة نحو السيادة والسلطة الجزائرية الكاملة .

1- وأخيراً تتلألأ الشمس . ص .75.

2- المصدر نفسه.ص 75 -76.

3- المصدر نفسه.ص 76.

"وأخيراً بدأت الأيام الفاصلة، بل الساعات الحاسمة بين الشر والخير،الحق والباطل ، بين الحرية والاستبداد، هذه الساعات الفاصلة هي الخيط الدقيق الفاصل بين سنوات الجمر وسنوات النصر وباقتراب عهد الاستقلال، بدأت النساء تترقبن عودة أزواجهن، إلا فريدة التي خالطها اليأس من عودة زوجها، مع أن صديقتها هي أيضا التحق زوجها بصفوف المجاهدين ولكنها لم تفقد الأمل برجوعه ولم تيأس من روح الله، وإنما هي منتظره أوبة الزوج ما بين عشية وضحاها وكيف لا تنتظره وهو و ما يبرح على قيد الحياة ،كما علمت من بعض الأخبار ... وسواء أكانت هذه الأنباء صادقة أم كاذبة تغبطها ".[1]

لماذا هي كذلك لا تنتظر مع المنتظرين، ولا تسمح بأن يداخل نفسها ما يداخل النفس من ارتياب ويأس من تحقيق الفرحة والسرور.

" أليست هي كذلك جزائرية ومنزلها البدوي الذي تحف به أشجار اللوز والصّبار قد تخلص من نير الاستعمار ؟ ...بلى ... إن هذه كلها أشياء حقيقية لا غبار عليها ... وإذن فالواجب الوطني والخلقي يفرضان عليها أن تخف إلى صفوف المزغردات" [2] .

تصور هاته النصوص الحلم وهو يتحّول إلى حقيقة، وتصور أيضا فرحة الشعب بالحرية والاستقلال، ثم تنقل لنا آمال الزوجات الجزائريات وهن ينتظرن أزواجهن، وفرحة الشعب الجزائري لا تعادلها فرحة بنيل الاستقلال وإحلال السلام والانتصار، وإشراق شمس التحرر والسلام .

1- وأخيراً تتلألأ الشمس . ص 76 .

2- المصدر نفسه .ص 77.

" تضيف فريدة آن الأوان لعودة اللاجئين الجزائريين إلى أراضيهم وأهاليهم "[1]، بالفعل هذا هو وقت العودة.

"ولما حان وقت الانتخاب التقت الجموع الكبيرة وهي تدلي بأصواتها، لقد انكسر القيد، وانجلى الظلام ... وان هي إلا ساعات معدودات من الآن حتى نشعل المشاعل ونقيم الأفراح ونملأ الوطن الحبيب من البحر المتوسط إلى المحيط الأطلسي بهجة وحبوراً ونرفع الرايات أول مرة في كل مكان !...".[2].

"وما هي إلا ساعات حتى أعلن الاستقلال التام ... عمت الفرحة قلوب الملايين من الجزائريين والأشقاء، والأصدقاء ...وبدأت حينئذ جموح المجاهدين تعود من الجبال لتتفقد عائلاتها وأهاليها ،وكان من العائدين توفيق الذي قتلته الألسن الشريرة ودفنته منذ أكثر من عامين ...آثر أن يكون رجوعه إلى فريدة والوالدة مفاجأة".[3]

" وأدركت فريدة أن الأحلام الشيطانية والأفكار الصبيانية، قد انقضت إلى غير رجعة مع غياب الأقدام الاستعمارية وراء البحار "[4] ،فالاستقلال هو الحلم الذي تحول إلى حقيقة، وتجسد على أرض الكفاح والنضال.

وهكذا تختم قصة وطن مع الحرية والاستقلال، ومع شعبه المخلص والوفي بحيث أثبت الإنسان الجزائري قدرته على صنع الثورة، وصناعة الاستقلال والحرية، فالإرادة الجزائرية حققت

1- وأخيراً تتلألأ الشمس. ص 79.
2- المصدر نفسه. ص 80.
3- المصدر نفسه.ص .80
4- المصدر نفسه . ص83.

النصر ودحضت العدوان والاحتلال ، وبهذا تكون الرواية قد قامت بإضفاء المسحة الوطنية، التي انسحبت عليها ،فبالإضافة إلى هذا الرواية عرضت صفحات من ذاكرة التاريخ وفاء للذكرى وتكريماً للذاكرة الثورية ، إذ تطرقت الرواية لحرب التحرير والثورة المباركة والتضحيات المبذولة حباً للوطن.

ثانياً: عنوان روية "وأخيراً تتلألأ الشمس" وأحداثها وشخصياتها.

2-1 : العنــوان :

"وأخيراً تتلألأ الشمس " هذا العنوان يوحي ويومئ بمضمون الرواية ويعكس البعد الوطني للرواية ،فهو واجهة تتجلى فيها مسحة الرواية الوطنية ،إذ لهذا العنوان علاقة وثيقة بمحتوى هذا النص الروائي .

فكلمة "وأخيراً " تبين أن هناك معركة، ثورة تنتهي بشيء،فهذه الملحمة الجزائرية ازدادت وهجاً بالثورة ،والنضال، تدل هاته الكلمة على أن هناك شيئا كان يُتَأَمّل، ينتظر ،هو الاستقلال.

أما كلمة "تتلألأ " فهي فعل يدل على التوهج الجميل للشمس، إذ أن الشيء الذي يتلألأ هو شيء جميل تتوق إليه، النفس.

أما المقصود من كلمة " الشمس " فهو الحرية ،والاستقلال، والنصر ، والتحرر فشمس الحرية يأملها كل مواطن جزائري ،ويتأملها الشعب بكل تلهف ..

" فالظلام الذي كان سائداً على كل ربوع الوطن اشتد وطال، لكن - أبداً – لن يعّمر إذ لا بد أن يعقب هذا الليل فجر هو فجر الحرية، ولا بد لهذا الفجر أن تعقبه الشمس ، شمس الحقيقة التي لاحت بعد أن تم تحويرها ومحاولة طمسها ".[1]

وأخيرا حلم الاستقلال والحرية تحقق، وانجلى الليل بظلمه واستبداده، ليترك مساحة للشمس ،وبزوغها ، وكشفها للحقائق ،وإشراقتها بنور الحقيقة، والحق الذي عاد لأصحابه .

2-2 : الأحداث .

يشارك في هذه الرواية عدة شخصيات ،هناك "توفيق " وهو بطل الرواية الذي كانت رغبته ملحة في الانضمام إلى صفوف المجاهدين من أجل الكفاح معهم ضد المحتل.

" لقد أدرك توفيق أن الجزائر تحتاج إلى أبنائها من أجل الدفاع عنها ،فيقول لزوجه ما حيلتنا ووطننا يريدنا جميعاً أن نقوم بالدفاع عنه ؟ **...** ما قولنا للحرية المفقودة وهي تنادينا كل يوم أن نسترجعها ؟! ... رفعت فريدة الحنون رأسها إليه ، وقالت في صوت يخنقه البكاء : لن أحول بينك وبين ما أنت عازم عليه ... أنا أيضا جزائرية ".[2] .

2-1 : الشخصيات .

فتوفيق قد قدر مدى حاجة الجزائر له ولأمثاله ،ورأى بأنه لا يجب أن يشغله أي شيء عن تلبية النداء، نداء الجزائر، ونداء الواجب الوطني.

1- وأخيراً تتلألأ الشمس. ص .66

2- المصدر نفسه. ص 51.

فريدة : وهي من الشخصيات الفاعلة في الرواية، إذ سمح لها وعيها الناضج ، وإدراكها بدعم زوجها في مسيرته النضالية ،وتسهيل الأمور له، لم تكن عقبة في طريقه، تمنعه من تحقيق هدفه ،هذا ما جعلها تتمتع بخاصية الانفعال ،والتفاعل إذ تفاعلت مع زوجها،وباقي الشخصيات، وانفعلت مع الهدف العظيم الذي كان يسعى إليه زوجها، وهي أيضاً، وهو الحرية والاستقلال وكذا انفعالها برحيل زوجها إذ جاء في الرواية عنها

"أما الزوج اليافعة الشباب، فقد كانت تقاسي الأمّرين من الوحدة و تكابد العذاب .... من العزلة ... وبلغ بها اليأس مبلغه ، فودّت أن لو لم تلدها أمها حتى لا تتعذّب هكذا، ولا تتجرع كؤوس العلقم في صمت ... " [1].

الوالدة : " تمثل الوالدة الشخصية المضحية والمكافحة والمناضلة.وتمثل والدة توفيق المرأة الصلبة لقوية، الثابتة العزيمة، التي يـُحتاج إليها في الشدائد إذ هي مثال للمرأة الجزائرية في أيام الثورة فقد لقنتها السلطة الاستعمارية درساً قاسياً شظفاً في الحياة ، عرفت كيف لا تستسلم في أوقات الّجد، وتعلمت كيف تواجه المواقف القوية التي قد تؤدي بنساء أخريات، لم يعشن ما عاشته إبّان الثورة إلى الخضوع بالقول وقفت الحماة في ثقة وهي تواجه هؤلاء المتلهفين ".[2]

تواصل الوالدة قائلة :"إنكم بدل أن تواسونا وتشّجعونا حتى آخر لحظة من لحظات ثورتنا ،تحاولون عكس ذلك أن تزرعوا في طريقنا الأشواك لتحولوا بيننا وبين بلوغ مآربنا ...".[3]

1- وأخيراً تتلألأ الشمس. ص 61.

2- المصدر نفسه . ص 70.

3- المصدر نفسه ، ص70.

الشيخ مبارك: هو الشخصية المثقفة والمتدينة ،والمحبة للتضحية، يمثل الشيخ مبارك الشخصية الرزينة، والرصينة ،والمتعقلة والمطّلعة على الثقافة الإسلامية، يمتلك هذا الشيخ بساطة بدوية، وبشاشة دائمة، وحفاوة استقبال ،وكرم ضيافة ،قد وصفه توفيق بأنه طيف باسم، وملك رحيم.

العمة رحمة هي والدة فريدة، والإنسانة البسيطة المتواضعة .

- فاتحة شقيقة فريدة الكبرى. - صالحة شقيقة فريدة الوسطى.

تمتلك فاتحة وصالحة خبرة ، وحنكة في الحياة بحكم التجربة.

" فكلما كانت الشخصية محل الاهتمام والتركيز، كانت أداة لاكتشاف الواقع؛لأنها –ولا بد من ذلك- تمثل وتحمل تشابكات الحياة ومظاهرها،ومعطياتها، وما يعتوِر هذه الحياة من تناقضات،ذلك أن الشخصية في الرواية غير مفصولة عن العالم الذي تنتمي إليه،من أناس وأشياء، فالشخصية الروائية لا يمكن تصورها ككوكب معزول إنها مرتبطة بجملة من العلاقات وعن طريق هذه العلاقات فقط يمكنها أن تعيش"[1] ،فهذه العلاقات تبث الحياة والحركة والحيوية في الشخصية.

أما بالنسبة لدلالة أسماء الرواية يلاحظ أن :

توفيق: يوحي اسمه بأنه وفق في الانضمام للجبهة.

فريدة: فهي تعني إنها شخصية متميزة

[1] وأخيراً تتلألأ الشمس .ص70.

مبارك: هو اسم يتوافق والصفاء والأريحية.

ثالثاً : "وأخيراً تتلألأ الشمس" :اللغة – الزمن – المكان .

1-3 : اللغـة السرديـة .

النسيج اللغوي :

إن الجوهرة المقصودة بالاهتمام والتمحيص والعناية من علم الأدب هو أدبية الأدب ؛ ومعناه في نظري الفنية و الذي يخلق من الجمال سحراً خلاباً يخطف العقول والألباب وفي ذلك يقول تودوروف (Todorov): "علم الأدب ليس دراسة الأدب، بل دراسة أدبية الأدب" [1].

يتضح من خلال لغة الرواية أن الكاتب يمتلك باعاً في اللغة العربية، إذ تكشف هذه اللغة عن قدرة وتمكن من ناصية اللغة العربية .

بالإضافة إلى تمسح لغة الرواية بالمسحة الدينية، إذ إن هذه اللغة تتخللها الألفاظ القرآنية ،والعبارات التي تدل على التشبع بنبع القرآن الكريم . والتراث الإسلامي والعربي الأصيل .

1- Les categories du recite littéraire .Tzevétan Todorov , in communication 8 , coll édition du seuil ,paris,1981,p131.

اللغة الحوارية :

هناك عدة مواضع في الرواية نجد فيها الحوار، ومن ذلك ما دار بين فريدة وتوفيق "ولكن ما حيلتنا ووطننا يريدنا جميعاً أن نقوم بالدفاع عنه ؟... ما قولنا للحرية المفقودة وهي تنادينا كل يوم أن نسترجعها ؟!.."[1] .

وكذا الحوار الذي جرى بين توفيق والشيخ مبارك وفريدة :"هذه ابنتي أقدمها لك، وهذا جارنا يا بني ما اسمك يا ولدي ؟ ...توفيق يا عمي ...جارنا توفيق نزل بالقرب منا منذ قرابة شهر، كما أخبرتني بذلك أمك قبل قليل ... قال توفيق: تشرفنا ،وأجابت فريدة: لنا الشرف العظيم ، بمعرفة جارنا ".[2]

يتضح من خلال ما تقدم أنه يوجد في الرواية النصوص الحوارية التي تخدم بعد الرواية.

لغة المناجاة :

ومن أمثلة المناجاة الواردة في الرواية ما ناجت به فريدة نفسها :"إننا الآن في سنة 1996، فقد مضى على ذهابه إذن عام كامل فيا لها من ذكرى مشؤومة ، مليئة أحزاناً وأشجاناً !...فبأي جديد ستعود هذه الذكرى في العام المقبل ؟ باستقلال الجزائر التام، وبالحرية الكاملة، وبظهور الراية الخفاقة المرفرفة " . [3]

1- وأخيراً تتلألأ الشمس .ص 51.
2- المصدر نفسه . ص 28 -.29
3- المصدر نفسه. ص 63.

وتضيف فريدة قائلة :"أم بنعي زوجي الغالي وامتداد أجل الثورة ؟...أظن أن الحل الثاني هو الذي سيكون، وهل الدنيا إلا شر وشؤم ".[1]

وهكذا نلاحظ أن العناصر الفنية هذه الرواية تفاعلت مع مضمون الرواية، إذ هناك التحام، وانسجام وتفاعل بين البعد الوطني والبناء الفني.

3-2 : الزمن .

تغطي فترة الرواية الزمنية الفترة ما بين سنة 1956 ،و 1962 ،ومن التنويعات الزمنية التي وردت في الرواية:الارتداد والاستباق.

وهكذا يظهر من خلال هذا الاختلاف الزمني أنه يخلق تنوعاً زمنياً، ويكسر الرتابة الزمنية، ويمنح نوعا من الحركة والحياة لزمن الرواية، بالإضافة إلى أنه يحمل الأحلام المستقبلية بالحرية والاستقلال، وانتصار الثورة.

3-3 : المكـان.

إن تقديم مفهوم الإنسان الجزائري يتمثل في قدرته على صنع الثورة، وبذل التضحيات، وهذا ما يعزز توطد وتمتن علاقته بأرض وطنه، وعلاقته بالزمن والمكان وهذا هو المفهوم الذي حاول الكاتب تقديمه من خلال روايته، وفي هذا السياق يقول "ميشال زرافا" Michel Zéraffa " :"إن مفهوماً معيناً للإنسان يحدد جمالية معينة للرواية".[2]

1- وأخيراً تتلألأ الشمس.ص 63، 64.

2- La Révolution Romanesque , Michel Zéraffa ,Union générale d'édition , paris, 1972 ,p :32

فالمكان في هذه الرواية هو المهجر، والوطن الذي نشأت فيه الشخصيات هو الجزائر التي قد طردهم منها الاحتلال، وبالتالي سكنوا في أرض غير أرضهم ، وما ورد في النص يوحي بذلك، إذ جاء على لسان العمة رحمة لتوفيق :" علمت من جارنا الميلود أنكم جزائريون مهاجرون مثلنا".[1]

فالمكان هو جزء من العناصر المشكلة للحدث الروائي، كما هو طرف مهم في علاقة الإنسان بالأرض والوطن.

ومفهوم المكان في هذه الرواية متعدد الجوانب والأوجه فهو مستمد من السيادة فالمكان يعني أن تكون سيد بلدك و مفهوم المكان أيضاً يعني الحرية والاستقلال والأمان والملاذ .

1-وأخيراُ تتلألأ الشمس . ص 22.

خصائص الخطاب الروائي لدى محمد مرتاض .

اولاً : المضمون

1-1: ذاكرة التاريخ

2-1: صورة الوطن و الثورة في "وأخيراً تتلألأ الشمس " و " ثمن الحرية "

ثانياً: الشـــكل

1-2: الأشكال السردية

ثالثاً: خصائص الأشكال السردية في "وأخيراً تتلألأ الشمس" و "ثمن الحرية

رابعاً: التقنيات السردية

1-4: الأوجه السردية

2-4: سرعة السرد

خصائص الخطاب الروائي لدى محمد مرتاض .

أولاً: المضمـون.

1-1: ذاكرة التاريـخ.

" تبدو القراءة مقاربة تشريحية تهدف إلى سبر أغوار المقروء واستكشاف بواطنه "، [1]

وهذا ما فعلته القراءة بالنصين السابقين؛ فقد سبرت أغوارهما وكشفت بواطنهما، وتوصلت إلى نتيجة مفادها أن المضمون الوطني، هو ما دارت حوله الأحداث في الروايتين .

إن هذا المضمون الوطني هو ذاكرة للتاريخ، والثورة هي التي صنعت لنا هذا التاريخ، وقام التاريخ بحفظ هذه الثورة. جاء في رواية ثمن الحرية : " كان محمد يعمل ليلاً ونهاراً من أجل الثورة، يخصص بياض نهاره للتعرف على أماكن استراتيجية جديدة، أو المراقبة الاستعمار وهو يحفر ويحصن مراكزه لمخابئه العديدة، أو يزرع الموت الزؤام بألغام مختلفة الحجوم والأشكال !! لاحظ وهو يسوق بغلته السوداء النشيطة ، كيف كان المرتزقة يحلون ألغاماً في علب صغيرة كأنها كرات حديدية، كانوا يغرسونها كما تغرس.البطاطا، بيد أنها بدون أوراق !!" (2)

وقد جاء في رواية وأخيراً تتلألأ الشمس ما يعبر عن المضمون الوطني في هذا النص: "بدأت النساء تترقبن عودة أزواجهن، إلا فريدة التي خالطها اليأس من عودة زوجها، مع أن

1 - "أدب حين الطلب". وليد مشوح، الموقف الأدبي ،اتحاد الكتاب المغرب، دمشق، العدد 377. السنة 32، أيلول 2002 جمان الأخرى – 1423، ص 63.

2 - ثمن الحرية ص 16- 17.

صديقتها هي أيضاً التحق زوجها بصفوف المجاهدين ولكنها لم تفقد الأمل برجوعه ولم تيأس من روح الله وإنما هي منتظرة أوبة الزواج ما بين عشية وضحاها وكيف لا تنتظره وهو ما يبرح على قيد الحياة، كما علمت من بعض الأخبار وسواء كانت هذه الأنباء صادقة أم كاذبة تغبطها". [1]

لقد كانت الثورة والوطن هما الحجر الأساسي الذي تدور حوله الأحداث في رواية وأخيراً تتلألأ الشمس وثمن الحرية، وذلك لأن ما عاشه الشعب الجزائري من استعباد واستبداد يدفعه لأن يكون موضوع حياته هو الوطن وموضوع كتابته هو الوطن .

" لقد حاول الاحتلال إقناع الشعب الجزائري بأن يتخذ الفرنسية لغة له، عند الكتابة والتفكير، لكن الشعب كان يقظا لهذا بالإضافة إلى هذا لما استقر المقام بالمحتل بعض الاستقرار، عمد إلى محاولة محو الشخصية الجزائرية الأصلية عن طريق اتباع جميع الأساليب التي توصله إلى ذلك"[2].

وقد حاول الشعب التعبير عن التمسك باللغة والوطن والثورة في الحياة والكتابة أيضاً، وقد قدم هذا الشعب العديد من الأمثلة عن ذلك منها الكاتب محمد مرتاض فقد عاش الثورة وعبر عنها في كتابه في كتاباً له، وثمن الحرية وروايته وأخيراً تتلألأ الشمس دلائل على ذلك.

1 - وأخيراً تتلألأ الشمس ، ص 75.

2 - نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1925- 1954).عبد الملك مرتاض ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1983، ص 20

وتعد هذه الثورة من أهم عوامل تطوره الأدب الجزائرية سواء على مستوى الشكل أو المضمون.

" إن وأخيراً تتلألأ الشمس وثمن الحرية ؛ عبارة عن نص واحد ، يشكل هذا النص وثيقة تاريخه، وسياسية واجتماعية، وثقافية للجزائر " .[1]

2-1: صورة الوطن والثورة في "و أخيراً تتلألأ الشمس" و "ثمن الحرية ":

" لقد تسبب الاحتلال في الكثير من الجرائم في الجزائر إذ اشتعلت أرض الجزائر وسماؤها حذق الخطر بألوف الجنود المستعمرين جن جنونهم لم يعودوا يفرقون بين الشيخ أو العجوز قتلوا حتى الصبية حشروا معظمهم الجزائريين في محتشدات قتلوا جماعياً خربوا قرى بكاملها لم يذروا فيها إلا الخراب اليباب كان ذلك في شهر يونيو سنة 1956 طلب السكان من المستعمرين أن يسمحوا لهم بحصر زروعهم على الأقل " .[2]

" لم يسمحوا لهم بذلك لذا بكى كل من كان في القرية إن البدوي يمكن له التضحية بنفسه وبكل عائلته من أجل أرضه وحيواناته، فكيف تطاوعه نفسه في الابتعاد عنها أو النأي عن العيش معها ؟! ...." .[3]

1 - تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصر (1947- 1985دراسة). شريبط أحمد شريبط ،اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 1998- ص 110.

2 - ثمن الحرية. ص 23- 24.

3 - المصدر نفسه. ص 24.

أما في رواية وأخيراً تتلألأ الشمس فقد ورد: "ولكن ما حيلتنا ووطننا يريدنا جميعاً أن نقوم بالدفاع عنه ؟ ما قولنا للحرية المفقودة وهي تنادينا كل يوم أن نسترجعها ليس الآن يا فريدة الوطن أكثر احتياجاً مني إليك" .[1]

إن هذه الفكرة قائمة على ضرورة صنع الثورة، والعمل الثوري من أجل تحرير الوطن؛ لأن جرائم المحتل لا تحتمل فظاعتها ووحشيتها .

ثانياً: الشكـل.

2-1: الأشكال السردية.

" إن التعامل مع اللغة بشكل منتج "[2]، هو الذي يوصل صاحبه إلى التمكن على المستوى اللغوي وهو ما فعله الكاتب محمد مرتاض في نصيه.

" أما بالنسبة للأشكال السردية فهناك ثلاثة أشكال من السرد كما يصنفها عبد المالك مرتاض ":[3]

1-السرد بضمير الغائب.

2-السرد بضمير المتكلم.

3-السرد بضمير المخاطب

1 - وأخيراً تتلألأ الشمس. ص 24.

2 - في الرواية والقصة والمسرح (قراءة في المكونات الفنية والجمالية السردية). محمد تحريشي، دحلب ، د ط ،د ت ص 10.

3 - تحليل الخطاب السردي (معالجة تفكيكية سيمائية مركبة لرواية زقاق المدق). عبد المالك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، د ط ، د ت، ص 197

وقد غلب على الروايتين ضمير الغائب،إلا أن الأشكال السردية تتنوع من متكلم إلى مخاطب إلى غائب.

ويرى عبد المالك مرتاض أن " المراوحة بين الضمائر الثلاثة لدى السرد الروائي مسألة جمالية " .[1] فالتنوع في الضمائر لدى محمد مرتاض مسألة جمالية فنية.

"هذا بالنسبة للضمائر أما فيما يخص الرؤى فهي متعددة ومتنوعة ؛فهناك " [2]:

1-الرؤية من الخلف .

2-الرؤية المصاحبة .

وهنا تستوي الرؤية لدى السارد وشخصياته في درجة واحدة من الوعي والمعرفة، بحيث لا أحد منهما يكون أعلم من الآخر.

3-الرؤية من الخارج: والسارد يعلم أقل من أي شخصية .

وفي الروايتين وأخيراً تتلألأ الشمس وثمن الحرية الرؤية فيهما متصاحبة باعتبار أن ما يعرفه السارد تعرفه الشخوص.

1 - في نظرية الرواية (ربحت في تقنيات السرد). عبد المالك مرتاض، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، د ط، 1998، ص 197.

2 - تحليل الخطاب السردي. عبد المالك مرتاض،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ،1995، ص 193.

ثالثاً : خصائص الأشكال السردية في "وأخيراً تتلألأ الشمس" و "ثمن الحرية" .

ويتمتع نص رواية وأخيراً تتلألأ الشمس ورواية ثمن الحرية بخصائص أسلوبية منها:

" الوصف والتشبيه والتكرار، وتتمثل وظيفة الوصف في خلق البيئة التي تجري القصة فيها و تكوين نسيجها " .[1]

وقد توفرت هذه الخصائص في الروايتين ؛ فنجد وصف الشخوص محمد - الميلود خالصة -عمي علي- شمس الدين.

أما بالنسبة للتكرار ففي الروايتين تكررت الأفكار والألفاظ والعبارات ؛ إذ نجد الألفاظ المكررة كثيراً هي: الوطن- الجزائر – الثورة – الحرية.

" بالإضافة إلى هذا فإن ما يعزز قوة الرواية هو أن يكون لها لغة رقيقة "[2]، إضافة " إلى الأبعاد الخاصة بها وحدها والجديدة "[3]، وهذا ما يلاحظ في الروايتين ؛ " إذ أن لغتهما تدل على تمكن الكاتب من ناصية اللغة العربية، وبما أن هدف الباحث من النظر في النص هو محاولة فهمه ،لذا عليه الأخذ بعين الاعتبار كل عناصر البناء الروائي، فالراوي يتوارى وراء عمله، ويدع الأفعال تترابط وتتفكك على نحو معين ثم يترك الحركة تنمو والزمن يتحرك". [4]

1 - تطور، البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة (1947- 1985). شريبط أحمد شريبط، منشورات اتحاد الكتاب الغرب، دط ، 1998، ص 30، 31.

2 - قراءات نقدية في القصة المعاصرة .ثناء أنس الوجوه، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، عبده غريب القاهرة، دط، 2000 ص 10.

3 - تقنيات الفن القصصي (عبر الراوي والحاكي) .أحمد درويش، مكتبة لبنان، ط1، 98، ص 288.

4 - نقد الرواية من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة. نبيلة إبراهيم، مكتبة غريب، القاهرة، د ط، دت، ص 17.

" وقد كانت المثابرة ديدن الكاتب محمد مرتاض في كتاباته، ولا يزال المجال مفتوحاً لمزيد من المثابرة في الكتابة الروائية " [1] من قبل أصحاب الاختصاص و الاهتمام .

" ولما كان الفن الروائي صورة صادقة أو يجب أن يكونها على الأقل للمجتمع الذي يصفه أو المجتمع الذي نبت فيه ، نلاحظ الكاتب محمد مرتاض يحرص كل الحرص على عدم جعل المجتمع خارج الزمان والمكان " [2] .

فهذا المجتمع هو الكيان الجزائري الذي يصنع الثورة ويحرر الوطن، ويستشهد من أجل المكان الذي هو الجزائر؛ فالكاتب محمد مرتاض قدم - فعلاً - قدم صورة صادقة للمجتمع الجزائري .

1 - معنى المأساة في الرواية العربية: على شكري، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1400هـ/ 1980، ص 8.

2 - عناصر التراث الشعبي في اللاز، عبد الملك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر د ط، د ت، ص 11.

رابعاً: التقنيات السردية.

1-4 : الأوجه السردية .

إن لجوء الروائي إلى تنويع الأوجه السردية يكسر الرتابة، ويخلق الحركية والحيوية في العملية السردية.

" ولقد قام العديد من الباحثين بدراسة فن الرواية وتوسيع مجالات البحث فيه ومن هؤلاء جيرار جينيت "[1] ، " فهو يدعو لتحديد مجالات البحث في ثلاثة مستويات "[2] :

1-الزمن: وهو يشير إلى العلاقة الزمنية بين القصة والحكاية المروية.

2-الصيغ: وهي تشير إلى الكيفيات ، والأشكال، والدرجات التي سيتم بها التمثيل السردي .

3- الصوت: وهو يشير إلى الطريقة التي يتدخل بها كل من المرسل والملتقي في عملية السرد.

"ويقول " جيرار جينيت " عن الصيغة أنها طرائق تنظيم الخبر السردي "[3]،" ولأجل تناول قضايا الزمن في هذه الرواية، لا بد من الحديث عن زمن الحكاية وزمن السرد ؛ إذ يجب أن يتفطن الباحث عند تحليل الهيكل الزمني للنص القصصي أن زمن القصة مزدوج على الأقل، فهناك من جهة زمن الملفوظ القصصي أو المدلول أي الحكاية نفسها بوصفها

1 - نظرية الرواية(دراسة المناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة) .السيد إبراهيم ،دار قباء، عبده غريب ، القاهرة، د ط، د ت، ص 105.

2 - بلاغة الخطاب وعلم النص. صلاح فضل، مكتبة لبنان ناشرون/ الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط1، 1996، ص 385.

3 - عودة الخطاب الحكاية جيرار جنييت، ترجمة محمد معتصم المركز الثقافي العربي، ط1، 2000، ص 49.

تسلسلاً زمنياً وارتباطاً بين الأحداث، ومن جهة أخرى زمن الخطاب أي ترتيب السارد للأحداث في النص القصصي كدال " .[1]

ومعنى هذا أن الأزمنة مختلفة ومتنوعة ؛ فهناك زمن الحكاية أو القصة؛ أي الأحداث القصصية التي جرت، وهناك زمن الخطاب أو السرد؛ أي زمن سرد القصة والتحدث عنها،فهناك الأحداث، وسرد هاته الأحداث.

" أضف إلى هذا ، أن لترتيب الزمني قد يحدث فيه ما يسمى بالتنافر ، والذي ينقسم إلى قسمين حيث يتابع الروائي تسلسل الأحدث طبق ترتيبها في الحكاية ثم يتوقف راجعاً إلى الماضي ليذكر أحداثاً سابقة للنقطة التي بلغها في سرده كما يمكن كذلك أن يطابق هذا التوقف نظرة مستقبلية ترد فيها أحداث لم يبلغها السرد " . [2]

واختلاف هذا الترتيب يتمثل في صورتين هما السوابق واللواحق:[3]

1-السوابق: تسمى هذه العملية في النقد بسبق الأحداث

2-اللواحق: وتسمى هذه العملية الاستذكار.

" وللتوضيح فإن السوابق واللواحق تنقسم إلى سوابق ولواحق ذاتية، وأخرى موضوعية ؛ ومعنى هذا أن السوابق معناها: أن أثناء السرد يأتي القاص بأحداث لم تحدث بعد فيرويها ،

1 - مدخل إلى نظرية القصة (تحليلاً وتطبيقات) .سمير المرزوقي وجميل شاكر، الدار التونسية للنشر وديوان المطبوعات الجالمعية، الجزائر د ط، د ت ص 78

2 - مدخل إلى نظرية القصة (تحليلاً وتطبيقات) .سمير المرزوقي وجميل شاكر، الدار التونسية للنشر وديوان المطبوعات الجالمعية، الجزائر د ط، د ت ص. ص 79.

3 - المصدر نفسه. ص 80.

ويتمثل هذا في الحلم - مثلاً - أو التمنيات ، أو الرؤى، أما اللواحق ، فهي رواية أحداث تمت في الماضي" [1].

"إضافة إلى هذا فهناك مصطلح الارتداد ومعناه الارتداد نحو حكاية كان يمكن أن نذكرها في موضعها من السياق السردي ، فأرجئ تقديمها لغاية من الغايات الفنية وهذا يعني أن توظيف السوابق واللواحق يضفي على النص الروائي أو القصص جمالية فنية؛ وبذلك يكون توظيف السوابق واللواحق يكون لقصد غرض فني" [2].

يقود هذا ، إلى الحديث عن وظائف السوابق واللواحق ؛ فمن وظائف اللواحق[3]:

1- تقوم بإعطاء معلومات عن ماضي أحد عناصر الحكاية : شخصية – إطار – عقدة...

2-ويمكن أن تسد ثغرة في النص بمعنى الاستدراك ويدعى اللواحق المتممة أو الإحالات.

3-ويمكن أن تذكر بأحداث مضت، ويدعى هذا النوع اللواحق المكررة أو التذكير ،وظيفتها رغم ضعف حجمها النصي هي إبراز القيمة الدلالية لبعض عناصر الحكاية .

أما فيما يتعلق بوظائف السوابق فهناك[4] :

1 - مدخل إلى نظرية القصة (تحليلاً وتطبيقات) .سمير المرزوقي وجميل شاكر، الدار التونسية للنشر وديوان المطبوعات الجالمعية، الجزائر د ط، د ت ،ص. 81.

2 - تحليل الخطاب السردي .عبد الملك مرتاض، ص 217.

3 - مدخل إلى نظرية القصة ، ص 82- 83.

4 - المصدر نفسه، ص ، 84.

1-سوابق متممة: تقوم بسد مسبق للثغرة اللاحقة، وسوابق مكررة تضاعف مسبقاً مقطوعات سردية آتية وتقوم بدور الإخبار باستعمال عبارة سنرى فيما بعد.

"إضافة إلى هذه الوظائف، تقوم السوابق بخلق حالة من الانتظار لدى القارئ" [1]

2-4 : سرعة السرد.

" إن تحليل الديمومة في النص يتجلى في استقصاء سرعة السرد "[2] ، والسرعة نفسها تنقسم إلى أنواع هي[3] :

1- المشهد: مدته في الحكاية تعادل مسافته في الكتابة.

2- الإيجاز: يصبح زمن السرد أقصر من زمن الرواية.

3- التوقف: يحتل السرد فيه صفحات كثيرة من الكتابة، و حين يقف زمن الرواية يصبح زمن السرد أكبر من زمن الرواية إلى اللا نهاية.

4- القطع: زمن السرد فيه يختفي وزمن الرواية يتجه إلى اللانهاية، وذلك لأن زمن الرواية بإمكانه الامتداد بشكل غير محدود، ومن هنا يصبح زمن السرد أقصر من زمن الرواية إلى اللانهاية .

"والتوتر في القصة هو مجموع علاقات التكرار بين النص والحكاية وبصفة موجزة ونظرية من الممكن أن نفترض أن النص القصصي يروي مرة واحدة ما حدث مرة واحدة، أو أكثر من

1 - تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية إبراهيم عباس، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر ولإشهار ، د ط، د ت، ص 105.

2 - مدخل إلى نظرية القصة ، ص 89.

3 - قضايا السرد عند نجيب محفوظ وليد نجار منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1985، ص 18، 19.

مرة ما حدث أكثر من مرة واحدة، أو أكثر من مرة ما حدث أكثر من مرة، أو أكثر منة مرة ما حدث مرة واحدة، أو مرة ما حدث أكثر من مرة " [1]

ولعل محمد مرتاض وظف السرد من أجل أن يرسم صورة للواقع الجزائري الأليم ،ومن أجل أن ينقل الصورة الدينية والصوفية ،والحضارية والقيم الثقافية ،والفكرية .

1 - مدخل إلى نظرية القصة. سمير المرزوقي وجميل شاكر. ص 86.

الفصل الثاني

جهود " محمد مرتاض " في النقد الأدبي .

أولاً : جهود "محمد مرتاض"في نقد شعر الفقهاء وأدب الأطفال .

1-1: عرض كتاب الخطاب الشعري عند فقهاء المغرب العربي .

2-1:عرض مؤلفات مرتاض عن أدب الطفولة .

2-2: الطفولة والقيم .

2-3: الطفولة و الشعر .

2-4: الطفولة و إشكالية الكتابة .

2-5 : القيم الدينية:

2-6: القيم الوطنية .

2-7 : القيم البيئية .

2-8 : الصورة في أدب الطفل .

2-9: أدب الطفل وأنواع الفضاء والزمن .

2-10: المفردات والأسلوب في أدب الطفولة.

ثانياً :المفاهيم الأدبية والنقدية عند محمد مرتاض.

1-1 : المصطلحات الأدبية الواردة عند محمد مرتاض .

1-2:المصطلحات النقدية الواردة عند محمد مرتاض .

ثالثاً: المنهج النقدي عند محمد مرتاض

أولاً : جهود "محمد مرتاض"في نقد شعر الفقهاء وأدب الأطفال .

1-1: عرض كتاب الخطاب الشعري عند فقهاء المغرب العربي.

لقد حاول محمد مرتاض في هذا الكتاب أن يأتي بالجديد والمتمثل في محاولته التنظير والتطبيق ؛ وذلك من خلال القراءة العميقة لهذا العلم في التراث العربي، ثم محاولة الوصول إلى نتائج ليبني عليها أحكامه.

يهدف المؤلف "من خلال هذا الكتاب إلى محاولة تجديد بعض المفاهيم القديمة، ". [1]

"ولقد منح الفيلسوف conte الخطاب بصورة عامة (الشعر والنثر) أعظم جمال فالفظة – كما هو معلوم، هي التي تزين الجملة وتنمقها وتكون مع أختها وأخواتها روعة وبهاء كثيراً ما تدهش النقاد والقراء فيصبحون معجبين، هذا جميل.... لأن الكلمة هي السحر نفسه وعطفه عليها الرسم وصنونه، لأن الرسم جامد ولا يمكن أن يوهم الناس بأن اللوحة المرسومة أو المادة المنحوتة تتبجسان بالحياة وإن كانتا لا تخلو أن من تقدير و إعجاب ".[2]

" ثم يختم بالموسيقى؛ وهذه الرتبة الأخيرة بها ليست إدراء لها ولا تقصيراً في حمقها وإنما لكونها تمثل شيئاً مسلياً بإمكان البشر أن يستغنوا عنه أو يجدوا عنه مندوحة في غيره من الملسليات الأخرى الأكثر جمالاً كالقراءة مثلاً التي منحها المكانة الأولى، لأن الفصاحة شاملة في واقع الأمر، ولا سيما أن "كانت" قد وضع هذه الفنون في تربيتها تباعاً لعبقرية البشر،

1 - مفاهيم جمالية في الشعر العربي القديم (محاولة تنظيرية وتطبيقية). محمد مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1998، ص 3.

2 - المصدر نفسه. ص 19.

فالعبقرية الأكبر هو الذي يبدع القول من شعور، أي من فراغ بينما الآخرون لابد أن يكونوا يسيراً أو كثيراً من بينات المجتمع وتاريخه وتراثه".[1]

إن الفيلسوف conte يمنح الخطاب الشعري أو النثري الاهتمام الأبرز، كما يولي العناية الكبير للفظة أو الكلمة؛ وذلك لأن البنية الإفرادية هي أساس البناء الكلي الذي هو الخطاب، كما أن جمال البنية الإفرادية يقود إلى جمال الخطاب الشعري أو النثري.

" أما الفيلسوف الألماني hegl يصنف الفنون؛ ولكن تقسيمه يقوم على مفهوم المذاهب، حيث يحصر كل الفنون في ثلاثة: رمزية، وكلاسيكية، ورومانسية، فبالنسبة للمذهب الرمزي يرى أنه يصدر نتيجة لضبابية في فكر الفنان". [2]

"والنمط الثاني الكلاسيكي والذي جاء بعد الرمزي ليوضحه وليزيل عنه الغموض والإبهام والانغلاق، وتمت المعادلة بين الظاهر والباطن ... وثالث نمط هو النمط الرومانسي حيث تجاوز هذه المعادلة التي تحدثنا عنها آنفاً لينفذ إلى الأعماق الإنسانية فيكشف عن خلجات الباطن ووجداناته". [3]

يقول محمد مرتاض :" إن ما يزيد من قيمة كتاب الدرس الخطاب الشعري ويرفع من مقامه ويجعله مهما هو ما سأعرض له من أسباب جعلتني أقبل على تأليفه وهي كالآتي:

1 - مفاهيم جمالية. ص 20 .

2 - المصدر نفسه. ص 21.

3- المصدر نفسه. ص21 .

_ إن الدراسات الأدبية نادرة في هذا الميدان إن لم تكن منعدمة, وذلكم ما أفضى إلى أحكام خاطئة غالبا أو أحيانا بدعوى أن الفكر الفقهي ينحو الى التعليمية والنظمية أكثر مما ينحو إلى الشعرية ، ناسين أن هؤلاء الفقهاء يمتازون بميزتين أحداهما خاصة بهم تطبع أسلوبهم الأدبي وتشوبه بظاهرة فقهية ، ثانيتهما متكاملة مع الآخرين يلتقون فيها معهم من حيث رصانة الأسلوب ،وجمال الصياغة ، وفنية التعبير"[1].

ويضيف الكاتب محمد مرتاض :

" إن هذا الشعر الفقهي حافل بمختلف الأغراض والفنون التي تطبع أدبا ما ، وهو ما شجعني على أن اخصص له هذه الدراسة التي تطمح إلى أن تزيل الغشاوة عن كثير من ظواهره وقضاياه ،وأيضاً فراغ المكتبة العربية في المغرب والمشرق معا من هذه الدراسات التي تقدم بلا ريب جديدا وتضيف لبنة من اللبنات التي تبني صرح الأدب في المغرب العربي بخاصة ، والعالم العربي بعامة"[2] .

ثم يضيف محمد مرتاض : " إن هذا الموضوع لم يسبق طرقه بصورة نقدية متكاملة ، وكل ما فعله الذين سبقوني أنهم أشاروا إليه إشارات عابرة من خلال إشادتهم بأهمية الفقه وكثرة الفقهاء ودورهم في العصور المتزامنة مع الدراسة ، أما ايلاء العناية إلى الفقهاء الأدباء ، فليس هنالك إلا دراسات مقتضبة اقتصرت على قلة منهم ، مشيرة إلى بعض أدبهم ولكن من غير تعمق كما فعل المرحوم الأستاذ (عبد الله كنون) في الموجز (أدب الفقهاء) أو كما عني

[1] الخطاب الشعري عند فقهاء المغرب العربي . محمد مرتاض, دار الأوطان , الجزائر, 2009 , ط1 , ص د, هـ
[2] المصدر نفسه ،ص د، ه .

الدكتور (ناعسة) بشعر الفقهاء في المشرق العربي مع إثباته شخصية واحدة مخضرمة مابين المشرق و المغرب العربيين هي شخصية (سابق البربري) بينما ظل الشعراء الفقهاء الآخرون أغمارا ومجاهيل لم تتناولها الأقلام ." [1]

"لابد أن نربط راهن هذا النقد بالخطاب النقدي الكلاسيكي الذي لم يلغي صلته بالبلاغة العربية القديمة ،وما آل إليه بعد تراكم المعارف النقدية العلمية والثقافية التي تربطه بها صلات التأثير والتأثر " [2].

وهذه هي النظرة الثقافية التي يقف معها الكاتب في نقده للنصوص.

يقول الكاتب محمد مرتاض :" يصبو البحث في هذا الموضوع إلى أن يقدم خدمة جلى لأدبنا العربي في المغرب بعد أن حومت الدراسات المختلفة على أجوائه تريد النزول لكنها ما لبثت أن نبذته إلى أجواء أخرى مؤثرة السلامة و الارتخاء و القعود فقد تجاهلت الدراسات الأجنبية الأدب العربي في هذا الإقليم الشاسع الأطراف ،الكثيف السكن المليء أمجادا و مآثر عبر حقب التاريخ و لم تحفل به آثرهم التي عنيت . حسب زعمها – بتأريخ للأدب العربي ولكن هذا التاريخ للأدب في الواقع يخلو خلوا تاما من شخصيات المغرب العربي وإن أثبت بعضها فبحشمة و انقباض ".[3]

أما فيما يخص الأغراض التي كتب عنها الكاتب مايلي:

---

[1] الخطاب الشعري عند فقهاء المغرب العربي . محمد مرتاض, دار الأوطان , الجزائر, 2009 , ط1 , ص و

[2] تحليل الخطاب السردي وقضايا النص ،عبد القادر شرشار ،دار القدس العربي ،الجزائر ،ط1،2009،ص7.

[3] الخطاب الشعري عند فقهاء المغرب العربي .. ص ح

الغزل والنسيب :

"وفي هذا النوع من الشعر الغزلي فيكتفي ناظمه باللمحة الدالة ،والإشارة التي تغني عن سواها ، فا لشاعر الفقيه يستنكف من وصف جمال محبوبته ، ويعرض عن التعريف بملامح جسدها ، وهذا الابتعاد عن التصريح ، وهو الوقوع في الوصف الفاضح هو الذي يجعل الشاعر يبدع أيضا في تخيل صورة فتانة لمن يحب ويهوى" [1]

الزهد و الرثاء :

" ومن الزهديات التي لم تضيعها حافظة الرواة تلك التي أنشدها ابن خميس، وما قال الشاعر إبراهيم التازي وأيضاً "[2] :

فقد ذكر ابن رشيد و بن علي الخطابي

التأمل والمناجاة :

" ذكر مرتاض في هذا الغرض بعض الشعراء منهم :

ابن النحوي و العبدري وابن شيرين وابن عمر الهواري والمغلي "[3].

وفي كل ذلك دلالة على موضوعيته وحبه للتجديد.

[1] الخطاب الشعري ص 3
[2] المصدر نفسه ص63
[3] المصدر نفسه ص 121

وقدم الكاتب " في كتابه دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة ابن الخلوف ودراسة تضافرية لنص محمد بن الظريف ودراسة تحليلية لنصوص كل من الشعراء: يوسف البكري وميمون بن علي الخطابي وابن المرحل والقاضي عياض ومحمد بن الحسن القلعي"[1].

وفي الحقيقة إن الأمة الجزائرية عانت بكل فئاتها من ويلات الاحتلال وقد انعكست نتائج ذلك على الشعب الجزائري، فانتشرت الأمية والجهل، وتوغل الغزو الثقافي في أوصال الأمة الجزائرية، ولما ينتشر الجهل والأمية تصبح الفرصة سانحة لطمس معالم هذه الأمة، ولكن الشعب الجزائري صارع كل ذلك بوعي وإدراك ونضج.

2-1 : عرض مؤلفات محمد مرتاض عن أدب الطفولة.

2-2: الطفولة والقيم .

في الحقيقة إن الخوض في أدب الأطفال فيه من الصعوبة ما يجعل هذا المجال ليس بالأمر الهين بل هو كما يقال من السهل الممتنع، أضف إلى ذلك حساسية هذا المجال.

وقد وصف الكاتب محمد مرتاض البحث في هذا الميدان بالمغامرة قائلاً :" إن البحث في أدب الأطفال يعد مغامرة في بلاد حاصرتها الأمية كالتنين الأعمى، وأحاط بها الغزو الثقافي من كل جانب نتيجة للأيام الحالكة التي غطت فضاءات ربوعنا الحبيبة طوال قرن وثلث القرن من استعمار خبيث مدمر أتى على الأخضر واليابس وأهلك الحرث والنسل".[2]

[1] الخطاب الشعري ص. 221.

[2] من قضايا أدب الأطفال (دراسة تاريخية فنية). محمد مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص أ.

" إن هاته العوامل والعوائق المتعددة حرمت الجزائر من تأسيس أدب للصغار وكبارها يصارعون جحافل الجهل، ويحاولون تثبيت الجذوع، وري العروق لتينع بعد ذلك الأوراق، وتخضر الأفنان، وينتشر أريج الزهور وعبيرها في كل مكان".[1]

هذا، وقد ركز الكاتب محمد مرتاض في كتابه هذا " على دور القيم في تحديد شخصية الطفل، إذ يرى أنه من الطبيعي أن تنطلق كتاباته من القيم التي تخدم المجتمع العربي الإسلامي فنحرص على أن تنبثق من المفاهيم الواضحة التي نؤمن بها ونود أن تكون هي مبدأهم الثابت مستقبلاً وذلك بزرع بذور الخير، وتكريس حب الوطن في النفوس، والعناية بالتاريخ، وإبراز الأيام العصيبة التي عاشها شعبنا إبان الثورة التحريرية المباركة، وبذلك نكون قد خدمنا وطننا ومنحنا الطفل سلاحاً يذود به عاديات الأيام، ويتصدى به لكل دخيل أجنبي".[2]

إن القيم أساس تكوين وتحديد شخصية الطفل، فإذا تطعمت هذه الشخصية بالقيم والمبادئ وتعززت بالأخلاق الفاضلة، وقبل هذا وذاك، الذين فالدين دعامة وأساس وركيزة كل شيء، كما أن شخصية الطفل بحاجة إلى تربية وطنية، وغرس حب الوطن.

يواصل الكاتب قائلاً في كتابه : " ونحن إذا رمنا أن يحافظ مجتمعنا على تطوره الدائم، ويسلم من المذمات والشطحات، فليس إزاءنا إلا العناية القصوى بالطفل وتنشئته تنشئة متماسكة الأجزاء، متينة الأوصال، إذ أن الرعاية عن طريق التثقيف والتأليف لشخصيته من غير إساءة

[1] من قضايا أدب الأطفال. ، ص أ.

[2] المصدر نفسه. ص6.

إلى ذوق الطفل أو إهانة لشخصيته يكون لها التأثير الكبير على حياته المستقبلية ولا سيما إن عرفنا كيف نقدم له هذه الوجبة".[1]

" وحديث العناية بالطفل يذكرنا بالمعايير التي حددها الإسلام لرعايته والحفاظ عليه قبل كل الأنظمة والدساتير العالمية، فقد وردت أحاديث نبوية تنبه الآباء إلى كيفية تربية الأولاد وفي القرآن الكريم آيات مختلفة في مواضع كثيرة ترشد إلى الأخذ بيد الطفل وتوجيهه توجيهاً صحيحاً سليماً ".[2]

" كما أن الطفل سريع التقليد لمن حوله يخطف بصره الومضة أو الصحة، ثم ترسخ في ذهنه وفكره لتصير جزءاَ من كيانه وانشغالاته، ألم يقل الأقدمون: التعلم في الصغر كالنقش في الحجر؟ لذلك يؤكد المربون ويلحون على اصطفاء وانتقاء ما يقدم لهذا العالم الجديد من تغذية فكرية، فهو سريع الأخذ شديد الانفعال وهذا ما يضعه المربون في حسابهم".[3]

والواقع أن الإسلام، والقرآن، والحديث النبوي الشريف هي قواعد نشأة الطفل؛ فتربية الطفل تستند إلى هاته الأسس المهمة، كما تحتاج شخصية الطفل إلى أن تتشبع بالقيم الإسلامية، والأخلاقية، والوطنية.

" لكن هذه القيم المذكورة تظل مبتورة ما لم تبن على أسس ثابتة، وتغرس بطريقة علمية تراعي الجوانب المختلفة لحياة الطفل الثابتة، ولا نسأم الإرشاد والتعليم والتوضيح بصورة مستمرة ولو أدى ذلك إلى أن يتناقض مفهوم الطفل مع ما نقدمه له نحن أو نعلمه إياه، لأن تركه على

[1] من قضايا أدب الأطفال. ص6

[2] المصدر نفسه. ص 8،9.

[3] المصدر نفسه. ص 10.

هواه يؤدي إلى نتيجة عكسية تعلمه الفوضى، وتعوده على الحرية المطلقة التي هي من العبث بلا شك، فللحياة قواعد وأسس لا تحيد عنها".[1]

" إضافة إلى هذا، أن التربية الوطنية قد غرست حب الوطن في شباب الجزائر الذين لبوا نداء الوطن، وآثروا التعب على الراحة والتصدي للأعداء الفرنسيين المستعمرين إبان ثورة نوفمبر المجيدة سنة 1954". [2]

" أما تدخل الآباء الصحي في الطفل وشؤونه ليس فيه شائبة بل بالعكس، لأن الطفل جماعة أو شلال يحمل كل شيء يصادفه في طريقه، فلا بد إذاً أن يكون هنالك غرباء يصفى هذه الشوائب التي تحملها أطرافه، فهو بمجرد ما يضع قدمه خارج البيت، يلاحظ العجب العجاب، ويسمع الغريب الأغرب: يرى انحلالاً في اللباس، وتسرق أذناه كلمات نابية لا علم له بها من قبل، ويشاهد الخصومات والتقاتل، وقد يتعرض إلى النهب أو التعدي".[3]

إن الطفل في الواقع ورقة بيضاء يستطيع الآباء أن يخطوا ما يريدون على هذه الصفحة البيضاء؛ ومن الأفضل أن يخط إلا الجمال والدين والأخلاق والقيم والمبادئ لكي ينشأ هذا الطفل في وسط يعمه النقاء والصفاء.

" وقد قدم علماء النفس معلومات مهمة يتميز بها الطفل؛ كأن يكون في السنة الأولى يعتمد على الحركة المستمرة وحدها، فهو يحرك أعضاء جسمه باستمرار وقد ينجح في الوقوف على رجليه أو حتى المشي بينما يكون في السنة الثانية أكثر قدرة على الاحتكاك بعالم الكبار

[1] من قضايا أدب الأطفال.ص 12.

[2] المصدر نفسه. ص13.

[3] المصدر نفسه، ص13.

بعدما يغدو بإمكانه التنقل نحو أماكن مختلفة في البيت. وفي هذه السنة تنشط يداه للتكسير والرمي والتفتيت ويظل كذلك إلى أن يدخل المدرسة في السادسة حيث يكون قد اكتسب القدرة على التعلم".[1]

" والكاتب يرى أن الطفل العربي المسلم يجمل به أن يضع الإيمان على رأس القيم كلها لأنه بإيمانه بالله يبلغ مراميه ويحقق مبتغاه، والذي يسهل عليه الكفر بالله،يسهل عليه الكفر بكل القيم الأخرى، ثم تأتي الوطنية التي تعني أن يبذل الطفل كل ما في وسعه من أجل أن يظل وطنه شامخ البنيان، ثابت الأركان، لذلك يلزمنا أن نعلمه منذ الصغر بأن الوطن هو أسرته الكبيرة، وأن التفريط فيه أو الاستهانة به إنما هو تحقير".[2]

"وهذا التحقير والإساءة -أولاً - توجه لنفسه ولأمته ولتضحيات أسلافه وآبائه، إذ أن الوطني الحق يخلص ولا يتردد في أن يقدم نفسه قرباناً في سبيله، ومن هنا تنشأ عند الطفل العاطفة الجارفة تجاه وطنه، فتراه لا يقدر على فراقه فإن اضطر إلى ذلك لظروف اقتضتها مصلحة الوطن، يكون ضيق الصدر شديد الاشتياق والتوقان، يترقب أولى فرصة للعودة إليه كي يحضن ترابه وكل ما فيه، وهو حين يكون وطنياً حقاً يذود عنه عوادي الأجانب".[3]

فأول ما وضع الكاتب كأساس ولبنة تنطلق منها تنشئة الطفل هو التربية الإيمانية، وغرس كل ما يفيد الطفل من الناحية الدينية، و الإيمانية؛ لأن ذلك أهم شيء يمكن أن يتربى عليه الطفل ويرسخ في تركيبته الشخصية، إلى جانب هذا، ينبغي أن يتأسس الطفل على التربية

[1] من قضايا أدب الأطفال. ص14.

[2] المصدر نفسه، ص14.

[3] المصدر نفسه. ص15 .

الوطنية وغرس القيم الأخلاقية والآداب، أضف إلى هذا ينبغي غرس القيم الوطنية؛ من حب للوطن وضرورة التضحية من أجله، والفخر والاعتزاز بالشهداء وتضحياتهم.

"وترى المجاهد الجزائري، والمناضل ،و الثوري قد عذبوا إبان الثورة بأسوأ مالا يتحمله جسم حي، وهم مع ذلك لم ينبسوا ببنت شفة تكشف عن أسرار ثورتهم، ولو أنهم سئلوا: كيف صبرتم وتجلدتم؟ لأجابوا بدون تردد : من أجل وطننا، وفي سبيل تحريره من الاستعمار، ووفاء بالعهد الذي قطعناه على أنفسنا، وعملاً بالقيم التي تلقيناها ونحن أطفال".[1]

"ثم يوضح الباحث قائلاً بأن المرء لا يمكنه أن يعيش بمعزل عن الناس، لذلك يتحتم عليه أن يشرئب بعنقه وباهتمامه نحو أمته العربية الإسلامية، فيتعلم التضامن مع جيرانه ثم مع مجتمعه، ثم مع الأمة التي ينتمي إليها، وأخيراً مع الإنسانية في جميع أصقاع العالم، فيتألم لما يصيبهم، ويفرح لما يسرهم بصفته جزءاً منهم طالما كان الدين واللغة والتاريخ أشياء ثابتة تجمعه بهم، وطالما كان الاهتمام المشترك والهموم العامة تشغله كما تشغلهم".[2]

"ومما يحفر في ذاكرة الطفل فلا ينساه أبداً هو ما يلاحظه من اهتمام الأبوين بالأعياد التي تحتفل بها الجزائر رسمياً مثل الأعياد الدينية والوطنية، إذ الأسرة الناجحة هي التي تجعل الطفل يعيشها بكل جوارحه وكيانه، بل المفترض أن تحتفل المؤسسات التعليمية في الطليعة بهذه الأعياد، لأن الطفل يتلقى الحقائق والثوابت من المدرسة، كما يتحتم على الآباء أن يحيوا هذه الاحتفالات فيسهروا الليل عابدين".[3]

---

[1] من قضايا أدب الطفل، ص 15.

[2] المصدر نفسه ، ص15 .

[3] المصدر نفسه، ص16.

إن الباحث محمد مرتاض يوسع من دائرة القيم والثوابت ليشير إلى ضرورة أن يتشرب الطفل بروح المسؤولية، وحب المجتمع، وحب التضامن معه، وجعل أمر المجتمع والغير - دائماً - يعنيه، فيصبح هذا الإنسان يتألم للآلام والجروح، ويفرح لفرحهم، كما يجب أن يحافظ على الدين واللغة والتاريخ، وهموم الوطن.

" والواقع أن هذا الطفل موهبة خارقة ولكن هذه الموهبة تظل كامنة حبيسة داخلة ما لم نعمل على تفتيقها وتوجيهها".[1]

"ويتضح أن أدب الأطفال لم يظهر بصورة متكاملة إلا منذ القرن العشرين وإن سبقت محاولات ذللت ووضعت لبنات لبنيان صار شامخاً صلباً في أقطار العالم كلها بما فيها الوطن العربي الذي ساير تطور الأدب فيه مختلف الجوانب الأخرى، واحتل أدب الأطفال مكانة متوسطة ضمن اهتماماته المختلفة".[2]

"وفي العالم العربي قد تفطن العرب القدامى إلى أن أذن الطفل ترتاح للأناشيد والأغنيات الخفيفة، إذ لاحظوا أن هذا الطفل يتملكه الطرب فيهتز مع اهتزاز أوتار الأصوات التي تلقي المقطوعات الشعرية ولذلك اختار هؤلاء الأناشيد الأكثر خفة حتى تحرك السمع، وتشد آذان الأطفال نحوها".[3]

---

[1] من قضايا أدب الأطفال ، ص16.

[2] المصدر نفسه، ص16.

[3] المصدر نفسه. ص25.

إن أدب الأطفال يتضح -مع ما يراه الكاتب محمد مرتاض – أن له إرهاصاته الأولى، وتتمثل مظاهر تلك الإرهاصات في أن الطفل يرتاح لسماعه الأناشيد الخفيفة، وتمثل هذه الأغنيات والأناشيد الخفيفة التراث المشترك للأمة.

"وتتسم هذه الأناشيد والأغاني التي احتفظت بها أيام العرب والسير بكونها مجهولة المؤلف مما يجعل منها تراثاً مشتركاً للأمة العربية، وإن كانت ثمة أناشيد عرف ناظموها الأصليون".[1]

" إن الطفل لديه احتياجات كثيرة جداً؛ منها الغذاء الجسدي أو المادي، كما هو بحاجة أكثر إلى الغذاء الفكري ولا سيما في زماننا هذا، زمن الاستكشافات الفضائية، والهوائيات المقعرة التي بإمكانها أن تلج بيوتنا من غير استئذان، وتسيطر بسحر صورها وبريق لونها على أطفالنا، ومن هنا تزداد أهمية ثقافة الطفل في بلادنا العربية الإسلامية، وحتمية الانتباه إلى الغزو الأجنبي. وليس هذا فحسب، بل محاربته بسلاح مضاد له".[2]

"هذا، وإن لم يجد الطفل ما يأكل فإنه سيبحث في بلاد الأجانب، وليكن طعمه كما يكون. وهذه الوسائل كثرت في أيامنا هذه وتعددت الإذاعة، الشاشة الصغيرة، الخيالة الصحيفة، المجلة، المسرح، الكتاب، المتحف، وغيرها وهي كلها تؤدي دوراً خطيراً في حياة الطفل ولاسيما الصورة التي تدخل لقمة المعلومات إلى فكره من غير مضغ ولا هضم!... ولذلك تعمل فوق عالمية متخصصة في الكتابة للأطفال إذاعياً وتلفزياً ".[3]

---

[1]- من قضايا أدب الأطفال. ص25.

[2]- المصدر نفسه.ص39.

[3] - المصدر نفسه.ص46.

إن وسائل الإعلام إذا لم تجد مراقبة، وإن لم تكن مفيدة؛ فإنها سوف تعود بنتائج وخيمة وضارة على مستقبل المجتمع، وذلك بتخريب بذرة هذا المجتمع و هي الطفل.

2-3: الطفولة و الشعر .

ثم يتحدث الكاتب في كتابه "عن صعوبة نظم قصائد الأطفال؛ إذ يرى بأن نظم قصائد للأطفال أصعب بكثير من نظم قصائد للكبار، إذ على شاعر الأطفال أن يضع في حسابه كثيراً من التقنيات، ويرصد إزاء ذهنه كثيراً من الحقائق التي لا تقبل الجدل، ومن هذه الحقائق والتقنيات مراعاة المستوى العمري والفكري واللغوي والنفسي وغير ذلك، إذ أن ما يكتب لطفل في الرابعة من عمره يختلف عما يكتب لآخر في الحادية عشر مثلاً ".[1]

ينتقل بعد ذلك" للتطرق إلى الرمز في أدب الأطفال، ولخص المقصود بالرمز؛ والذي هو تلك الظواهر الطبيعية التي تفضي إلى نظرة متفاوتة تلقي عند الدلالة على قوة خارقة تحمل التخويف والتهريب أو السعادة والشقاء ونحوهما فقد انطلق الرمز بدءاً من علاقة الإنسان بالطبيعة، ثم انتقل إلى أكثر من ذلك فوظف هذه الرموز في الأدب، وهذا يدل على أن توظيفه قديم لا حدود له، ولكن بداية المذهب الرمزي لم تعرف النور إلا متأخراً من خلال الآداب الأوربية."[2]

[1] - من قضايا أدب الأطفال.ص 62.

[2] - المصدر نفسه. ص92، 93.

إن الكتابة في أدب الطفولة، ونظم قصائده، وكتابة قصصه، فيه من الصعوبة والاستشكال؛ وذلك لأن متلقي هذا الأدب -الذي هو الطفل- يتميز وضعه بالحساسية،لذا يجب التفطن لكل ما يقدم له .

يتطرق الكاتب في كتابه من قضايا أدب الأطفال" إلى أثر أدب الحيوان في نفوس الأطفال، إذ يرى أن للحيوان منزلة لدى الطفل وتقديراً عظيماً له، فهو يلاعب القطط والكلاب إن سنحت له الفرصة بذلك، ويتعشق أن يشاهد مغامرات النمور والأسود وهي تحدث زئيراً وجلبة بين الأدغال والغاب. وهذا ما أدركه كتاب الأطفال فخصصوا جزءاً كبيراً من إبداعاتهم لقصص تتناول الحيوان ومغامراته فكان أن عرفت القصص العلمية المحض، والقصص الخيالية الصرف، والقصص الرمزية".[1]

"ولكن هذه القصص تهدف في جملتها إلى تحقيق غاية واحدة، وهي تثقيف الطفل وتسليته وتربيته بواسطة تلك القصص، وحتى تتمكن من بلوغ هذه الدرجة فإنها لا بد أن تأخذ بلب الطفل وتثمر انتباهه".[2]

"وما يجعل الكتاب يقبلون على هذه القصص هو أنهم ألفوا في الحيوانات المثل الحي الذي لا يتورعون عن أن يرسموه للطفل، فهم يتخذون من الطيور والوحوش والحيوانات الأليفة ميداناً فسيحاً لكتاباتهم وتشريحاً صادقاً لكثير من القضايا السياسية والاجتماعية، فضلاً عن أنه من الناحية التربوية تكون هذه القصص أكثر التصاقاً بأذهان الأطفال."[3]

---

[1]- من قضايا أدب الأطفال.ص 103.

[2]- المصدر نفسه، ص103.

[3]- المصدر نفسه، ص103.

بذلك، يكون الباحث محمد مرتاض قد تطرق في كتابه من قضايا أدب الأطفال للقصة النثرية، وبالخصوص القصص الحيواني، وكذلك معنى القصص الحيواني وأول من ابتكره، ثم نشأة القصة والحيوانية وتطورها، وانتقالها من الشرق إلى الغرب، كما تناول بعد ذلك القصة الشعرية، كما تطرق -أيضاً- إلى أخلاق القصة الحيوانية وأنواعها، ثم شخصيات القصة الحيوانية.

"وما يجعل العربي ينسج الحكايات العجيبة هو ذلك الاحتكاك المستمر بالحيوان، وتجري هذه الحكايات ما بين الذكر والأنثى أو بين الأب والابن، أو بين هذا النوع من الفصيلة وذاك، وقد يزين له خياله الغرابة فيبالغ في النسج إما بقصد التفكه أو من أجل زرع الخوف أو التظاهر بالشجاعة والإقدام الشخصيين وهذه الحكايات التي تدور في المجالس السمرية، تنقلها الأسماع إلى مجالس أخرى لتكون مادة للحديث والموعظة. فيظل نص القصة أو الخزافة يتضاعف وتتمدد صفحاته."[1]

"أما حكايات الحيوان فتبدأ طبيعية تروى على السليقة قبل أن تتطور وتبلغ مستوى من الأدب الرفيع، أو الفن الجميل وقد نعلم – في هذا الصدد- إن الأمثال العربية استنبطت كلها من القصص، ومثل هذا التطور هو الذي يجعلها ذات عمق فني ويرفعها إلى أن تتبوأ مكانها ضمن الجناس الأدبية، وإن كان هذا النوع من القصص ما يبرح التجاهل ضارباً أطنابه حوله ولاسيما في العالم العربي."[2]

---

[1] - من قضايا أدب الأطفال.ص 108.

[2] - المصدر نفسه، ص108.

"والسبب في ذلك الاحتلال الذي عمد إلى التدمير الفكري والروحي اللذين تعرض لهما، لم يعد بإمكانه أن يضحك أو يسلو أو يتفكه، وإنما الجدة هي الطابع الذي يغلب على معظم شعوبه، ففقد بذلك ثروة هائلة من الخرافات التي اختطفها منا أعداؤنا وعزوها إلى أنفسهم في كثير من الأحيان بعد ما كرهوا إلينا الخيال بزعمهم أننا شعب خرافي، وإن عقولنا محلة جدبة، خالية من التفكير".[1]

وبذلك يكون الاحتلال قد عمد إلى قمع كل ما يربط الإنسان العربي بتراثه وخياله، وتاريخه، وإرثه الثقافي والحضاري والتاريخي، وذلك القمع الذي تعرض له النتاج العربي بسبب الاستدمار والاحتلال وخططه الخبيثة.

ويرى الكاتب " أن هذا الاحتلال نجح في هذا، إلى درجة أن صار كثير الكتاب والأدباء عندنا يهجمون على هذا الإرث الثقافي الهائل بمعاول جهنمية يطبعها التقليد، وتهيمن عليها السموم المستورد من وراء البحر دون ترّو أو تمحيص".[2]

"هذا، ويمكن القول بأن للقصة الحيوانية الأثر البالغ في تنمية مدارك الأطفال وتوسيع معارفهم إن عرف الأدباء كيف ينتقون الدال والمدلول في هذه القصص لأن الطفل يتأثر كثيراً وهو يتلقى حكاية من حكايات الحيوان، والداعي لذلك أنه ينظر إلى بطل القصة الحيوانية نظرة رحمة، أو نظرة غضب وسخط ونقمة فهو يتصرف معها حسب ما تجترحه من آثام أو ما تقدمه من بر وإحسان".[3]

---

[1]- من قضايا أدب الأطفال .ص108.

[2] -المصدر نفسه.ص 108،109.

[3] - المصدر نفسه.ص109.

"وهذا الوعي بواساطته ينمو فكر الطفل وتمتلئ مخيلته لينتقل شيئاً فشيئاً إلى عالم الواقع، وليدرك كلما تقدم في السن الفرق بين الخرافة والحقيقة، ولكن الحكي يظل عالقاً بذهنه، وقد يؤهله ليصير روائياً كبيراً أو شاعراً بارعاً، لأن القصور المنيفة تبدأ بلبنة واحدة."[1]

إن الإرث الثقافي والحضاري والتاريخي الذي نتمتع به يجب المحافظة عليه؛ وذلك بالحفاظ على مقومات هذا الإرث؛ من أدب ولغة وفكر، ومنطق، و يجب زرع كل هذا في شخصية الطفل، ليكمل بذلك مسيرة التراث التاريخي والحضاري والثقافي والفكري.

2-4: الطفولة و إشكالية الكتابة .

"على الأديب الذي يكتب للأطفال أن يتحلى بالصدق والإخلاص وروح المسؤولية، كما يجب أن يكون واسع الخبرة، متفطناً إلى معارف الطفل واهتماماته، وميولاته وأحلامه، وذلك حتى يستطيع الوصول إلى أعماقه ، فليقى منه تجاوباً وإقبالاً على ما يقدمه له من زاد ثقافي وعاطفي وأخلاقي وتاريخي بصورة عامة، بل إن أديب الأطفال لا يبلغ ذروة نجاحه ووصوله إلى قلوبهم إلا إذا استطاع أن يحقق لهم السعادة، بل والدهشة أو العجب أحياناً ".[2]

"ويرجع ذلك إلى أن الطفل مطبوع على الصفاء يخلو قلبه من الغش والمداهنة فهو إن أحب أخلص في حبه، وإن كره فقد ينسى ذلك يوماً وإذا أقبل على القراءة تلقائياً فمعنى ذلك أن

[1]- من قضايا أدب الأطفال.ص 129

[2]- المصدر نفسه. ص132.

هذا الكتاب صادف من نفسه هوى، وإذا أعرض فإنه قد يكون اشتم منه تعقيداً أو هزلاً أو سخفاً، وقد مررنا في طفولتنا بهذه التجارب كلها تقريباً ".[1]

"ويؤكد الكاتب على فكرة مفادها أن الطفل يتلهف على قراءة القصص التي تقع بين يديه ولا سيما القصص الخيالية أو قصص الحيوانات فالطفل يهوى التجنيح مع الخيال، وهو شغوف بمتابعة مغامرة الحيوانات في الأدغال، فتنتابه الشفقة، وربما تتملكه الحسرة من سقوط الأرنب الوديع لقمة سائغة في أفواه الكواسر من الطير!. كما يعطف على الديكة والدجاج ونحوها إذا ما تعرضت إلى اعتداء الثعالب أو الذئاب".[2]

والطفل -بالفعل- نجده يميل كل الميل إلى الخيال، والتخيل؛ ونجده -أيضاً- يحب المغامرات التي يكون أبطالها حيوانات، وبذلك نلمس ذلك الشغف والحب الكبير لقراءة القصص، والاعتبار منها، وأخذ العظة من أحداثها .

"وما سير الطفل إذا قرأ القصص الحيواني، هو تغلب الضعيف على الظالم وهو وإن لم يفهم كثيراً قضية الانتقام فإنه يسر وتنشرح سرائره إذا تمكن الضعيف (الحمل، الظبي، العصفور...) من التغلب بواسطة الحيلة أو الذكاء على الثعلب الظالم أو الأفعى السامة المستكرهة، أو الفيل الضخم الجثة!... ولعل الذي مارس التدريس مع الأطفال يلاحظ كيف تترقرق العبرات في عيونهم وهو يحكي لهم عن اليتيم في العيد، أو عن الفقير المحروم، أو عن الشهيد وهو يسقط مضرجاً بدمائه في ساحة الوغى مدافعاً عن وطنه".[3]

---

[1]- من قضايا أدب الأطفال.ص 132.

[2]- المصدر نفسه. ص 133، 134.

[3]- المصدر نفسه. ص 134.

" كما أن الطفل في احتكاكه بالحياة يدرك أن هناك نوعين من المعاملات: نوعاً خيراً ونوعاً شريراً، وهدفنا نحن أن نحبب إليه الفضيلة، وأن نكره إليه الرذيلة منبهين إياه بأن كل شيء نسبي، وأن الذي قد نراه شراً مستطيراً إنما هو يحمل في المقابل خيراً أحياناً. فالموت شيء رهيب، بيدأن فيه رحمة وتطهيراً وستراً وتغييراً وتجديداً ورحلة أخرى إلى عالم جديد، وهكذا".[1]

ويرى الكاتب" أن تغيير الواقع خيالياً وتمطيط الأجسام الحيوانية، أو المبالغة في إبراز ذكائها، أو انتصار الخائف المرتجف على رابط الجأش الشجاع، كل ذلك يجعل هذه الرسوم تحتاج إلى وقفة متأنية قبل الانبهار بها".[2]

إن الهدف من كتابة القصص الحيواني هو تكوين شخصية الطفل وتعزيز القيم في هذه الشخصية، وكذا تحبيب الفضيلة إلى الطفل، وغرس كل ما تحتاجه شخصية الطفل فيها من إيمانيات، آداب، أخلاق، معاملات، قيم وطنية، واجتماعية.

" وتحتاج الكتابة للأطفال إلى قواعد واستعدادات خاصة، ويتحتم على صاحبها أن يلم بمختلف الأسس التي تضمن لقصصه أو رواياته أو شعره النجاح، فالقصة والرواية مثلاً ذواتا أساليب عديدة تماماً كما هو الشأن بالقياس إلى القصة أو الرواية عند الكبار فثمة ما هو رمزي لا يستكشف كنهه إلا بصعوبة، وهناك ما هو مباشر بسيط، ومنها ما هو مركب، ولا مرية في أن الأطفال أميل إلى الأسلوب السهل الواضح".[3]

---

[1]- من قضايا أدب الأطفال.ص 134.

[2]- المصدر نفسه. ص135.

[3] المصدر نفسه. ص137، 138.

ويشير الكاتب في كتابه هذا إلى عنصر مهم جداً وهو الصدق" أي عدم المغالاة في الخيال كما لو زعمنا مثلاً بأن فلاناً فارق الحياة، ودفن، ثم عاد إلى بعد سنين إلى أهله؛ فإن مثل هذا النوع من القصص لا يجدي في تربية الصدق لدى الأطفال، أو تنمية المخيلة، لأن هذا نوع من الوهم الكاذب والتخيل المزيف."[1]

إن التأليف في أدب الأطفال فيه من المسؤولية الكثير، ويحتاج مؤلفه إلى ثقافة وإلمام كثير، ومتنوع، ويتطلب -كذلك- الوعي، والنضج والإدراك على مختلف الأصعدة من ذلك روح المسؤولية؛ لأن المتلقي -هنا- هو الطفل، فيجب أن نتعامل مع ذلك بحذر، كما يتطلب التأليف في أدب الطفولة. النضج والوعي الفكري والفني والأخلاقي، والديني، والأدبي، والنضج الاجتماعي.

2-5 : القيم الدينية:

" لقد عرف التأليف للطفل خطوة كبيرة في مجال التأليف الإبداعي ولاسيما في القصة الطفلية والأنشودة أو شعر الطفولة عموماً، وأدل على ذلك من كثيرة القصص التي تولت نشرها المؤسسة الوطنية للكتاب، والتي تتجاوز –حسب تقديرنا- الخمسين"[2]

"وقد تناول الشعر موضوعات لها علاقة بالدين الإسلامي، وهي تلتقي في المبنى العام المشترك فالحديث عن الله سبحانه وتعالى يفضي بصاحبه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم. والرسول يكون أصحابه معمرين بيوت الله محافظين على الميثاق الذي عاهدوا الله عليه. وهذه

[1]- من قضايا أدب الأطفال. ص144.

[2]- الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري (عند: الغماري – ناصر- حرز الله- مسعودي). محمد مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1993، ص 1.

القصائد تطفح بالكلمات الإسلامية التي تكون في مجموعها توقد إيمانياً وتزرع في نفوسهم حب الله والرسول والإسلام بصورة عامة."[1]

" والبصمات التي تركها الإسلام واضحة على الفرد والمجتمع معاً ودعا إلى التربية الحقة، وتطبيق التعاليم تطبيقاً يتلاءم مع سمو الأخلاق، وسماحة الإسلام، وتعاليمه الواضحة التي تجلب السعادة لكل البشر، وبعض هذا الذي أتينا عليه ذكراً هو ما يحاول الشاعر حرز الله توضيحه في قصيدة الفتى المسلم".[2]

وبهذا الخصوص يذكر المؤلف الشعراء الذين ألفوا في هذا الجانب ومن ضمنهم : مسعودي- ناصر -حرز الله- وغيرهم... لقد بذل هؤلاء الشعراء وغيرهم الجهد الكبير من أجل أن يقدموا للطفل الشعر والقصائد الجميلة الممتعة والمفيدة لعلها تسهم في إفادة الطفل.

2-6: القيم الوطنية .

وأحب أن آتي الآن على ذكر الموضوع الذي يختص بالتحدث عن الوطن والثورة والشهداء، إذ يرى الكاتب أن الحديث "عن الثورة، والتذكير بالشهداء، وتمجيد البطولات، قلما نلفي أحداً يتحدث عنه و بما أن الطفل الصغير يتلقى كل شيء ويسجله في مخيلته ولا يكاد ينساه فإن الشعراء اجتهدوا في زرع هذه البذور لتنمو مع نمو طفولتهم الفنية ويظلوا متعلقين بها".[3]

---

[1]- الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري (عند: الغماري – ناصر - حرز الله- مسعودي). محمد مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1993،. ص5.

[2]- المصدر نفسه. ص9.

[3]- المصدر نفسه.ص10.

وقد قدم الكاتب دراسة للقصائد التي ألفها الشعراء في هذا المجال، إذ يقول عن الرباعي بأنه قد " أولى عناية قصوى إلى وطنه الغالي الجزائر فقد تغنى بالعلم الوطني، وبتجميد الثورة، وبتخليد غرة نوفمبر، رمز التحرر والإباء، كما امتلأت القصائد بعاطفة جياشة صادقة، تدل على الحب العارم الذي يكنه الشعراء لوطنهم".[1]

" وإذا كانت الموضوعات متحدة في الهدف، فإن مضامينها تختلف في طريقة التناول ، بسبب ما يطبع قاموس الشعراء من اتحاد لغوي تقريباً ، لكن الأكيد هو القلة والكثرة عندهم فقد خصص الغماري أربع عشرة قصيدة كاملة من بين ثماني عشرة تؤلف الديوان، وهو ما يجعل مجموعته تخصص للثورة الجزائرية من خلال أناشيد موجزة مختصرة تتغنى بالانتصارات وتتحدث عن المآثر".[2]

إن هاته القصائد والنصوص الشعرية، تقوم بدور كبير، وعميق؛ وذلك لأنها تدعم الجانب الوطني، وتعزز غرس القيم ، واحترام الرموز الجزائرية من نشيد، وثورة، وشهداء، واحترام التضحيات التي بذلوها من أجل الوطن.

وهذا التغني بالثورة من الغماري يدل على "صدقه وثورته ووطنيته، والفنان الذي يضيق بوطنه وبأرضه ويعافها مؤثراً عليها وطناً آخر لا شك في أنه مهووس غير أصيل، لأن المحلية

[1] - الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري (عند: الغماري – ناصر - حرز الله- مسعودي). محمد مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1993، ص 11.

[2] - المصدر نفسه. ص11،12.

مطية إلى العالمية، والعالمية البراقة لا يدركها لامرئ القيس أن يكون شاعر العرب ولو لم يشع ذكره وبدع صيته في قبيلته التي خلد ذكر أماكنها عبر شعره، فألصقها بفنه وألصقت به".[1]

وقد نظم "الغماري دواوين تعدو العشرة قبل أن يكتب للأطفال، فجاءت قصائد ناضجة مراعية المستوى الفكري والنفسي ويتلوه في ذلك الشاعر حرز الله الذي هو مدرس يخالط الأطفال ويعلم ما تهفو إليه أمانيهم".[2]

إن الأطفال حالة خاصة، وأدبهم خاص، لا يمكن كتابة ما لا يتناسب مع فكرهم، ونفسياتهم، وإدراكهم، ووعيهم، ونضجهم أيضاً، من أجل ذلك ينبغي مراعاة أدب الطفولة والكتابة فيه.

7-2 : القيم البيئية .

من أجل الطبيعة وحتى تظل جميلة، ونستفيد منها على الشعوب –كما يقول الكاتب- أن "تغرس حبها في النشء عن طريق التغني بجمالها وروعة حسنها وهذا ما سلكه الشعراء الجزائريين".[3]

يمتاز شعر الطبيعة الموجه للأطفال لدى الرباعي بخصائص فنية في طليعتها "الصورة الفنية التي تجذب إليها السامع الطفل وليست الصورة التي تعنيها هي تلك التي تنصرف إلى الصور البلاغية المختلفة المألوفة، وإنما نريد بذلك ما يطبع الألفاظ من مظاهر الجمال

[1]- الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري (عند: الغماري – ناصر - حرز الله- مسعودي). محمد مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1993، ص 12.

[2]- المصدر نفسه. ص13.

[3]- المصدر نفسه. ص14.

والحسن، وما تسيل به الكلمات من إيحاء شعري، وماء يلقح الروعة ويدفع بالخطاب الشعري نحو الشلال لينعشه الرذاذ فيتبجس به ضاحكاً ".[1]

"وعلى الرغم من المفردات التي وظفها الشاعر الغماري، والتي تعتبر من المعجميات الجاهزة، إذ أن الشاعر لم يبحث كثيراً بل استعمل ما هو مألوف إلا أنها كانت معبرة تموج بالحركية، وتدل على مكانية مألوفة؛ إنها الفضاء المخضر أو الحيز الصحراوي، لكن الصحراء لا تعني هنا القحط والمحل، بل تعني ما هو موجود فيها من مثل الواحات الجميلة المتناثرة وهذه الواحات فيها من الخمائل المخضرة ما يجعل ولادة النخيل قائماً ".[2]

إن شعر الطبيعة ينمي في الطفل الحس بالجمال، وينمي -أيضاً - لديه الوعي بضرورة المحافظة على البيئة، وجمالها، وعدم التفريط في الطبيعة، أو التفريط في حبها.

في النص الشعري الذي ألفه الغماري يلاحظ الكاتب أنه يتميز" التقارب في "المضمون، ولاسيما أن حسناوات البستان وغيد الحديقة يتغنى بمحاسنهن الشاعر هنا أيضاً، وأعني بها الزهور الفواحة التي تزين هذا الفضاء الأرضي! والخلاف بين ما رأيناه قبل حين وما نسجله الآن، هو أن الشاعر هناك راوح بين النخيل والورود والنسائم، بينما هنا ألف صحبه وفاء بين الأطيار المنشدة التي تغرد على أفنان الباسقات في الرياض، وبين الزهر".[3]

---

[1] الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري ،ص 16.

[2] - المصدر نفسه. ص 16،17.

[3] - المصدر نفسه. ص 18.

"والحال كذلك في الربيع، فكيف يكون الحال بالقياس إلى الأطفال الذين ينتظرون بشغف كبير مقدم هذا الفصل ليستكشفوا فيه الحياة على حقيقتها، حياة الشباب والمرح والنشاط وليستيقنوا أن الأرض نفسها تتجدد في مثل هذا الفصل وترتدي حللاً سندسية تستقبل الربيع".[1]

إن الربيع فصل الحياة واستمرارها وتجددها وجمالها يستلهم الطفل منه الجمال، والحركة والحيوية، والحياة، والحسن والتألق.

8-2 : الصورة في أدب الطفل .

ينبه الكاتب ويؤكد على أن البحث في الصورة الفنية ليس المقصود بها البلاغة العربية، ويعترف أيضاً : " بأن الصورة الفنية التي كنا نود أن نتحقق في هذه الدواوين لا تكاد توجد والسبب بسيط، وهو أن هذه الصورة يكون مجالها أرحب في شعر الكبار، لأن شعر الطفولة إن لجأ فيه الشعراء إلى إطالة باعهم يعسر عليهم تحقيق نتائجهم التي يرومون التوصل إليها!... وهكذا سيلاحظ القارئ أن استشهادنا كان بجمل قليلة، ولكن هذا القليل يمثل بحق ما ورد في شعر الرباعي من صور فنية".[2]

"ومن الصور التي أتى بها الغماري يتناول فيها الحق الذي ينشده الضعيف والمظلوم والمقهور إزاء أعدائهم الجبابرة الظالمين... فالصورة- كما يتضح- لا ترتبط بزمان ولا مكان ولا يمكن التحكم فيها لأنها عالم فسيح الأرجاء كثير التجوال والتنقل ما بين بلد وآخر، وبحر

[1]- الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري. ص 19.

[2]- المصدر نفسه. ص28.

وآخر، وبيت وآخر، بل بين شخص وآخر، فالصورة قائمة مديدة خالدة أبدية!... والآية على ذلك أنه أبداً قوي الصوت مجلجله، لا تسكته بحة الباطل المهزوم!..."[1]

"وهذه الصورة توضح فاعلية الحق وانتصاره في آخر المطاف ولو بدأ الباطل هو صاحب السيادة، وهو مطلب القاصطين الكافرين والمنافقين المفترين، وهو ما يمنح هذه الصورة الخلود."[2]

لقد تناول الكاتب في هذا المجال خصائص الصورة الفنية في شعر الغماري، وفي شعر حرز الله، وكذا شعر مسعودي ،بالإضافة إلى تناوله للصورة الفنية لدى الرباعي وخصائصها؛ وقد عرض الغماري في شعره للثورة، والماء، والورد وغيره...

"أما فيما يخص الصورة عند الرباعي فقد تناولت مواضيع عدة، منها الثورة والثوار الذين عرفوا منذ العصر الجاهلي واشتهر الصعاليك في ذلك، ثم كانت الدعوة الإسلامية على يد نبينا -محمد صلى الله عليه وسلم- وما صحبها من ثورة فكرية واجتماعية، بل لقد برز ثوار كبار في العصر الإسلامي منهم أبو ذر الغفاري وكذلك فإن هذه الكلمة تبلورت وأن هذا المصطلح تميز أكثر وذاع وانتشر منذ تكالب الاستعمار الغربي على الدول العربية، كانت ثورات وثورات".[3]

ثم يضيف الكاتب "بأن الجزائر قد نالت حظها من هذه الثورات كلها فأشعلتها ناراً في وجه الاستعمار الفرنسي الحقود، ولكن ذلك لم يكن سهلاً، بل استوجب أن يتضاعف جنون

---

[1]- الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري ،. ص31.

[2]- المصدر نفسه. ص 31.

[3]- المصدر نفسه.ص 51.

العنف من الاستعمار وأن يظل الشعب ملتزماً على الإصرار، فبلغ عدد الثورات نتيجة لذلك إلى العشر أو يزيد فلما كانت غرة نوفمبر سنة 1954م اهتزت أرجاء الجزائر من مغنية إلى القالة معلنة ثورة عارمة ارتعدت لها فرائض الاستعمار".[1]

" هذا، وقد وصل صدى الثورة إلى العالم بأسره لما حملته إليه الأنباء من تضحيات جسام، وبطولات نادرة ودفاعات مستميتة عن الإسلام واللغة العربية، والأرض، والكرامة الإنسانية، والسيادة الوطنية التي استرخصها أعداء الجزائر في الوقت الراهن، وهان عليهم ما قدمه آباؤهم وشهدائهم ليبيعوها بثمن بخص!...".[2]

تمثل الثورة مصدر إلهام للشعراء والكتاب -عموماً- وتشكل ملاحم على الواقع وعلى الورق؛ -أيضاً - فتبهر الكاتب والشاعر لأن يبدع ويؤلف القصائد والقصص ؛ فيعيد –مرة أخرى- إجراء وقائع هذه الثورة بالقلم، وعلى أرضية الورق، لتشد القارئ ، نتيجة ما قدم من تضحيات عظام من أجل الوطن.

والشعراء الذين عرض لهم الكاتب " وهم الغماري وحرز الله ومسعودي يتحدثون بكل وعي وإخلاص عن هذه الثورة في شعر الطفولة، ليزرعوا في النشء منذ نعومة أظافرهم جوانب من تاريخ بلادهم المشرق، وليذكروهم بأن الشهد لا يجني من غير لسع ...وهذه الثورة قد منحت هؤلاء الشعراء خصائص متميزة تتضاف إلى سالفها".[3]

---

[1]- الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري ،ص51.

[2]- المصدر نفسه.ص51، 52.

[3]- المصدر نفسه، ص52.

إن هؤلاء الشعراء لديهم من الوعي والنضج والإدراك، وحب الوطن، وحب الطفولة، فهم فكروا بطريقة مستقبلية؛ تقوم على غرس القيم الوطنية في الأطفال.

2-9: أدب الطفل وأنواع الفضاء والزمن .

عرض الباحث في دراسته" للفضاء في شعر الطفولة إلى بعض النماذج من الفضاءات؛ كالفضاء اللامتناهي الذي استخلصه من الشعر الذي استشهد به؛ فيرى أن البيت يموج بفضاء فيه ما فيه من قوة الإيحاء، والزمن اقتطفوا وإن كان يدل على المستقبل اصطلاحاً ولغة، فإن المتأمل فيه جيداً يخلص له أنه خال من الوظيفة التي تؤديه الأزمنة في علم التصريف ذلك أن الصفة التي يحملها القطف تعني التوقف المؤقت إزاء باقة وردية ينسجها فصل الربيع، وهذا الفصل بدوره قد صحب معه طائفة من العطور الندية التي لا يحدها حد".[1]

ثم يضيف الكاتب:" فالربيع هنا – وهو الصورة الرائعة التي تتمخض عنها الطبيعة كل سنة- ليس قائماً في زمن معين، ولا مكان معين وإنما هو منفلت من هذا التقييد أو التجميد؛... فالشاعر يأمر أصحابه – على لسان الطفل طبعاً- بالقطف، ولكنهم لا يفعلون ذلك بصورة متوحشة جنونية، بل يقتصرون على قطف وردة واحدة، تاركين الربيع ينطلق في فضائه العريض ليعم بشذاه العالم كله".[2]

[1]- الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري.ص58.

[2]- المصدر نفسه،. ص58، 59.

لقد تناول في كتابه هذا خصائص الفضاء اللامتناهي، والمتحرك، والمغلق، والمتعدد، وتحدث -أيضاً- عن الزمن الأدبي، إذ تطرق إلى الزمن المعتز بنفسه، وزمن الاستهزاء والسخرية؛ وهذا ما أحدث التنوع في الأزمنة والفضاءات.

" أما عن الفضاء المغلق و الحوار الذي جرى بين الشاعر ونفسه وبين شخصية ورقية تمثل المجتمع المدني الذي يزعم أنه متقدم وأي منكر أكبر وأية طامة أشد هولاً من هذا الصنف القزم المنحط إلى أسفل الدركات؟!...ولقد جاء هذا الخطاب لينسخ قوماً ويمسخ مفهوماً ويصل به إلى ما أراد، ومن هنا قلبت هذه الصفة الألسنية المفاهيم الخاطئة، وصححت التفكير الأعرج الذي كان يسود ..وقد وظف الشاعر الإيجاز مجيباً إياهم من غير أن يثقل البيت بكثرة الألفاظ فانجاز الفضاء وانغلق".[1]

ثم يصف الكاتب" هذا الفضاء بالانغلاق على شكل دائرة، ثم زمره فإذا هم يمسكون بتلابيبهم ويضعون داخل هذه الصفة الممقوتة، ويحشرون فيما عبرنا عنه بالفضاء المغلق".[2]

ويضيف الناقد عن الشاعر" الغماري" "إن الشاعر يشطب كل ما تحويه الأفكار الخاطئة، وما تعتبره زينة وبهاء ليجعلها مرغمة على الولوج إلى عالم أراده هو عالم الأصالة والعروبة والاعتزاز بما هو عربي اللسان، فيستعمل اسم الإشارة الدال على القرب والحصر والقسر مسبقاً إياه بهاء التنبيه لاستقطاب الأنظار، وجذب الألباب نحو خطابه".[3]

---

[1]- الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري.ص64، 65.

[2]- المصدر نفسه. ص 65.

[3]- المصدر نفسه،. ص 65، 66.

يضيف الباحث في هذه النصوص فضاءات عدة والمتنوعة في مجموعها الأنواع المختلفة والمتنوعة بحسب الغرض والمقصود، أما دراسة الناقد لهذه الأنواع فيشكل ذلك للقارئ متعة في قراءة النقد، والتحليل والمقاربة.

ثم يتطرق الكاتب لفضاء آخر سماه:" الفضاء المحاط بالمهاول" وقد وضحه الباحث بالقول :"يبدو هذا الفضاء المحاط بالمهاول في الهدف الذي رسمه الشاعر للوصول إلى الدرب الأخضر المفروش بالورود، لكنه يوضح بأن دون ذلك مهاول ومشاق، إنها تلكم الرياح العاتية المزمجرة الحاملة معها الحصاد المحرقة، والأغيرة المعمية ..حتى وإن استعمل الشاعر الجمع فهو يريد به التأكيد على الكثرة".[1]

أما الفضاء المتعدد فيقول عنه الكاتب بعد دراسته لشعر الرباعي :" لقد حملت الصفة الألسنية تارة أخرى التعداد الذي أراد الشاعر أن يضع فيه فضاءه. فالجسم واحد والتكالب عليه يحاصره من كل جانب فتعدد التعذيب والتنكيل والاضطهاد له، وصار العدو مخيراً ما بين التقتيل، أو الرجم- وكلاهما بلاء و شر- ولكن هذا الجسم قد ألف التعدد والكثرة، ووطن نفسه على هذه المضاعفة الشيطانية".[2]

إن التعذيب والاضطهاد الذي تعرض له الإنسان الجزائري كثر وتعدد؛ ولكن الغريب في الأمر كما قال الناقد أن هذا الشعب ألف هذا الشر المتعدد، واعتاد عليه.

2-10: المفردات والأسلوب في أدب الطفولة.

[1]- الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري.ص67.

[2]- المصدر نفسه.ص 69.

" المقصود بالمعجم هو ما وظفه الشاعر من ألفاظ وكلمات، وما يقصده المؤلف بالمعجم الفني الشعري ما جاء في " دواوين الرباعي" من صفات مشتركة".[1]

" وما لاحظه المؤلف من خلال دراسته أن الشعراء ذكروا اسم الجزائر أو الوطن أو البلد أو إحدى صفاتها البيضاء، أرض الجدود أربعاً وخمسين مرة والعلم أو الراية عشر مرات، والثورة خمساً وعشرين مرة، والشهداء والتضحية أربعاً وعشرين مرة، والجهاد والاستبسال وما في حكمها إحدى وعشرين مرة، وهكذا تكون الجزائر أكثر ذكراً كما اتضح تليها صفات العذاب".[2]

وقد قام المؤلف بالتعرض في هذه الدراسة لخصائص المعجم الفني لكل من : الوطن، والعلم الوطني، والثورة وما يندرج تحتها، بالإضافة إلى الجهاد والتضحية والقتل، وكذا الدم والعذاب، والنار، والشقاء، والدموع، والألم، والاضطهاد، والتنكيل.

وخلص بعد ذلك إلى " أن خصائص المعجم الفني للخطاب الشعري الموجه للطفل تتمثل في أن قاموس الشعراء لم يبتعد كثيراً عن معارف الأطفال وثقافتهم البسيطة الأولى، وإن عزبت منهم لفظة أو صفة، فأن ذلك لا يمنعهم من إدراك المعنى الإجمالي أو الفكرة العامة لما يهدف إليه الشاعر، علماً بأن القيمة الفنية لهذه المجموعات تتفاوت تبعاً لطول باع كل شاعر من هؤلاء الشعراء وواضح أن القيمة تتأكد لدى الشاعر الذي يملك تجربة ثرية".[3]

ثم يضيف الكاتب " بأن هذا الشرط يتوفر بصورة جلية في شعر الغماري بالدرجة الأولى، فالشاعر ناصر ثم حرز الله وأخيراً مسعودي الذي يبدو أنه لا يحمل خلفيات شعرية، وتبدو

---

[1]- الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري ،. ص81.

[2]- المصدر نفسه.ص 92.

[3]- المصدر نفسه ،. ص93.

تجربته محدودة. ولقد نعلم بأن الشاعر الذي لا يملك تجارب مسبقة في فنون الشعر المختلفة ويتجه مباشرة إلى نظم قصائد للأطفال لا يوفق في عمله، لأن المفروض في شعراء الأطفال وكتابهم بصفة عامة ألا يتخصصوا في هذا الميدان دون غيره من الميادين الأخرى".[1]

" أما عن خصائص البنية التركيبية في الخطاب الشعري للرباعي فيجب الانطلاق أولاً من تعريف خصائص البنية، والمراد بها هو البحث عن جواب أسئلة مطروحة تتعلق عادة بما يكون الأسلوب أو يبنيه أو ينشئه".[2]

فخصائص البنية تتناول ما يميز التراكيب والانزياحات، والأساليب البلاغية الموظفة، والبنى التركيبية التي قامت على بنى فردية، وكذا كل ما استعمله الشاعر، ووظفه، وكيف تم ذلك، ولماذا ؟

وفي تعليق للناقد محمد مرتاض" عن جدول خصصه لأجزاء الأسلوب وبنياته، ثم أعقبه بقراءة له ينطلق فيها من الزمن الماضي الذي غلب على الأزمنة الأخرى، وهو ماضي المجد العربي إبان الحضارة العربية الإسلامية والذي ما يزال سناه يضيء على المسلمين، ويعج به تاريخهم المشرق يليه الحاضر الذي ينم عن الانشغال بالهموم المختلفة التي تؤرق الشعراء إذ أن هؤلاء أنفسهم يعيشون هذا الحاضر بكل حلاوة ومرارة".[3]

" ومثل هذا يقال على ما بقي من أدوات ، فالظروف الزمنية غلبت المكانية، وصيغ التعجب طفت على صيغ الاستفهام، بينما بلغت أدوات النداء نسبة طغت على أدوات النهي

---

[1]- الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري. ص94.

[2]- المصدر نفسه. ص94.

[3]- المصدر نفسه ،.ص 97.

وأسماء الإشارة، وهذا النداء يحمل في مضمونه صوتاً مجلجلاً للنفوس الخاملة، والأجسام البالية التي أصمت سمعها وتجاهلت نداء الضمير، والدين والوطن، والعلم، والنزاهة، وغيرها من الأصوات النقية".[1]

فكل مكونات البنية التركيبية، والأسلوب –كما يرى الكاتب وأوضحه- له المبرر الذي أوجده، ويخضع ذلك للحالة النفسية للشاعر، كما أن كل صيغة وظفها، واستعملها الشاعر لها ما يبرر تواجدها.

ثانياً :المفاهيم الأدبية والنقدية عند محمد مرتاض.

1-1: المصطلحات الأدبية الواردة عند محمد مرتاض.

_ **اللغة** : لقد استعمل محمد مرتاض أثناء تحليله ودراسته ألفاظ تخصه منها كلمة الثنائية التضادية : ويقصد بها التضاد ويرى الكاتب " أن مقطوعة ابن خميس احتوت على قضايا أسلوبية تسترعي النظر , من ذلك أن الشاعر ركز على الثنائية التضادية كما في قوله:[2]

محزون ... ضاحك

"وحين جاءت البنيوية لم تأت شيئاً غير التعرق المفرط بنزعة الأشكال ، فعدت الكتابة شكلاً من أشكال التعبير قبل كل شيء ، في حين أن اللغة في تمثيلها ، هي أيضاً لا تعدو

[1]- الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري.ص 97، 98.

[2] الخطاب الشعري عند فقهاء المغرب العربي, ص 69

كونها شكلاً من أشكال للتعبير أو أداته ، وهي لاتحمل أي معنى ، والمدلول عبرها مندمج في الدال ،ومن أجل ذلك رفضت مضمون اللغة ،ومن ثم مضمون الكتابة وعدتها مجرد شكل "[1].

_ البنى الإفرادية والصرفية والنحوية : لقد استعمل مرتاض هذه الصيغة عند توظيفه للحروف , والصيغ النحوية و الصرفية وقد عقب الكاتب على كثرة الكنايات والمجازات فيقول : " ثم هناك كثرة الكنايات والاستعارات والمجازات والتضمينات التي وظفت لتبعث في الخطاب إشراقة ولتضفي عليه جمالا خاصا". [2]

ولكن هناك ملاحظة أخرى أريد الإشارة إليها هاهنا :

وهي لفظة "بنية " لقد استعملها الكاتب في تحليله رغم أنها حديثة .

كما تكلم الكاتب عن التكرار قائلا :" ومن البنيات التي يجدر الوقوف عندها أيضا بنية التكرار التي لم تخل بالمعنى أو تحدث اهتزازا في البناء , بل لقد أفضت إلى روعة في الإيقاع , وأحدثت نغما في الترداد كما يؤكده البيت الأول (بأي لسان أم بأي) والبيت الرابع (بنيَّ ابك لي إن البكا يبعث البكا) والبيت السادس (برتني يوما آية في براءة , فإن ضحكت سني فضحك مريب) والبيت التاسع (بسطت له كفي وقبلت كفه) أضف إلى ذلك التجانس بين ((غروب)) التي تعني غروب الشمس(البيت 2) وبين ((غروب)) التي تعني الدلو العظيمة."[3]

[1] في نظرية النقد متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها ،عبد المال مرتاض ،دار هومة ، الجزائر ،2005،ص 210.
[2] الخطاب الشعري عند فقهاء المغرب العربي ، ص 86
[3].المصدر نفسه, ص 86 , 87

ويقول في توظيف الشاعر للأسلوب الإنشائي والخبري :" كما أن للأسلوب الإنشائي دورا في التأثير على المرسل إليه وتوجيهه نحو ما أراد الباث , من ذلك لا الناهية في (لاتخرج) حيث يريد بها النصيحة , والأمر في (أظهر) ويقصد به التوجيه والتنبيه , ولكن الأسلوب الخبري هو الذي ساد هذه المجموعة , لأن الشاعر كان يتحدث بصدق , ولم يكن في عوز إلى تنويع الأدوات الأسلوبية بغية التوصيل والإرسال" . [1]

" التناص عملية لسانية تواصلية بعدية ،تارة يحصل بصورة شعورية ،وهو تناص مرغوب عنه أزيد مما هو مرغوب فيه ،وتارة أخرى يتم بصورة لاشعورية ،وهو تناص مرغوب فيه أكثر مما هو مرغوب عنه " [2].

بالإضافة إلى هذا لم يترك الكاتب التناص الديني التاريخي إلا وتحدث عنه " فالشاعر يعتمد كثيرا على التناص الديني ولا يكاد يعير التناص التاريخي وغيره اهتماما , كما يتميز هذا البيت بعدم اشتماله على أزمنة ولا على أفعال (بالمعنى الحقيقي) ولكنه عكس ذلك يعطف على ما قبله ليجعل السرد متواصلا غير منبتر , وهو وإن لم يذكر الزمان بمعناه الاصطلاحي المتعارف عليه_ فإنه مجازيا _ قد ذكره ليكون متصلا بالزمان (في يده) ذلك إن قدرة الله تعالى لا تحد بمكان ولا بزمان , بل إنها كانت في الماضي , وهي حاصلة الآن , وشاملة لما يستقبل من الزمان , كما إن الخلائق كلها في هذا الكون خاضعة لقدرته , منضوية تحت لوائه ". [3]

[1] الخطاب الشعري عند فقهاء المغرب العربي, ص 178
[2] التناص ،عبد الجليل مرتاض ،ديوان المطبوعات الجامعية ، 12،2011 ، الجزائر ،دط ،ص 05.
[3] الخطاب الشعري عند فقهاء المغرب العربي , ص 134

ويذكر التناص التاريخي عند حديث الشاعر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم , وعمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وملاحظة أخرى أوردها _ هنا _ مفادها أن الكاتب أتى بكلمة :

_النظام الفعلي : ليطلقها على الأفعال , فيقول : " لقد سيطر زمان الماضي _ كما أسلفنا القيل _ فجاء الإيقاع متتابعا والزمن متوازيا بحيث إنه كلما قرأنا الأول إلا وانتظرنا الثاني كالنغمة الموسيقية التي ينبئك أولها عن آخرها" . [1]

وقد أطلق الكاتب لفظ :

" النظام الاسمي: على أبنية الأسماء الواردة في المقاطع الشعرية , مثلما بحثنا في النظام الفعلي وضربنا بعض الأمثلة على ذلك , فإنه لا مناص من البحث في النظام الاسمي الذي اتبعه الشاعر كي يبلغ رسالته إلى المتلقي الذي هو في حاجة شديدة إليها بلا ريب حتى يفهم عنه ويشركه في ما يدعو إليه أو يبثه عبر نصه من قضايا". [2]

أما فيما يخص الكلمات ؛ فقد أطلق عليها لفظ ((المعجم الفني للنص)) ،والكاتب محمد مرتاض قد غرف من نبع ثقافته الواسعة التي يأتي على رأسها :

_القرآن الكريم.

التراث العربي الأصيل والبلاغة القديمة الأثيلة , ويرى الكاتب في هذا الخصوص:

[1] الخطاب الشعري عند فقهاء المغرب العربي, ص 276
[2] المصدر نفسه . ص278

" أن النص الأدبي في أي غرض كان , له نبعه الذي يغرف منه , وقاموسه الذي يستخدمه, فيطغى جانب من البنى على الجوانب الأخرى ليتصدر الريادة , ويستأثر بالشهرة. وهذه البنى هي التي تمنحه طابعا خاصا وتضفي عليه لونا لا يلاحظ في غيره من النصوص أو لا يكاد , إذ مما لاشك فيه أن الأمر مختلف جدا مابين نص في وصف الطبيعة , ونص في المديح النبوي".[1]

وقد استعمل عبارة (الفضاء الشعري) في تحليل أحد النصوص الشعرية :

يعلق على ذلك بالقول :" باعتبار أننا قد طبقنا المنهج التفكيكي في هذا النص , فإننا نمضي في هذا السبيل حتى النهاية فنورد مختلف أنواع الأفضية التي حفل بها . ومع إقرارنا بأن كل لفظة يمكن أن تشكل حقلا خاصا بها , فإننا سنقصر القيل على الأنواع المتداولة أو المألوفة في الاستعمال" .[2]

وأرى أن الكاتب في موضع آخر من الكتاب يأتي بالمصطلحات الجديدة وأمثل لذلك بعبارة ((بنية اللغة)):

فيقول في هذا : " لن نأتي بجديد إن أكدنا بأن البنية الإفرادية وحدها لأية لغة من اللغات هي ميتة , أي فاقدة لأي دلالة أو معنى ما لم توضع داخل جملة أو بنية مركبة , وذلك ما تنبه له الأسلوبيون منذ الجاحظ إلى يوم الناس هذا , فالبنية الإفرادية التي أولاها الأقدمون عناية خاصة هي ما يعرف اليوم بالمفردات المعجمية الجاهزة التي تبقى عديمة الدلالة ما لم

[1] الخطاب الشعري عند فقهاء المغرب العربي ,. ص 280
[2] المصدر نفسه . ص 296

تحرك من مكانها وتنتزع من قوقعاتها لتبعث فيها الحياة , وتدب فيها الروح فتغدو جميلة جذابة , أو دميمة ممجوجة , أو حماسية شديدة النبر والجرس."[1]

ومن المصطلحات الجديدة التي وظفها نجد كذلك :

_ المربع السيمائي .

_ المعجم الفني .

_ المستوى : المستوى الموضوعاتي .

_المحاور : المحور التركيبي والدلالي.

_ الفضاء.

الإيقاع :

أما الإيقاع فيرى فيه" أن كل نص لابد له من إيقاع ، مما لا شك فيه أن كل نص يخلو من الإيقاع يجب أن يصنف في خانة النصوص الباردة التي تفتقد إلى الروح , وتعوز إلى الجاذبية الفنية التي تهز السمع , وتثير الانتباه . ومن هذا المنطلق يبذل الشعراء والأدباء جهودهم كي يتسم خطابهم بقليل منه أو كثير , ولا سيما في الخطاب الشعري , حين يغدو فيه إجباريا لا اختياريا , وذلك لأن الشاعر يعتمد غالبا تلاؤم الحروف وتقاربها" .[2]

[1] الخطاب الشعري عند فقهاء المغرب العربي , ص 266
[2] المصدر نفسه, ص 434

ينتقل الكاتب إلى الحديث " عن الدور الذي يقدمه الإيقاع للنص بصفة عامة إذ يساهم في جمالية بناء النص فهو ما يمكن أن نطلق عليه الإيقاع الرئيس".[1]

هذا من جانب , أما من الجانب الآخر أجد الكاتب يذهب أبعد من ذلك ليتحدث عن هذه الكلمة ، كلمة الإيقاع باستفاضة , ويلاحظ هذا في حديثه عن وظيفة بحر الطويل فيقول :" ومن المألوف في الخطاب الشعري القديم أن بحر (الطويل) هذا يوظف كثيرا في المدحيات باعتبار أنه يتسع لكثير من التفاصيل التي يدمجها الشاعر داخل قالبه مع ذكر صفات متعددة للممدوح تتجلى في إضفاء المزايا والمحاسن المختلفة على شخصه من هيبة ووقار وسماحة وشجاعة ونجدة وعدل ومواظبة على تلاوة القران الكريم , وتأدية النوافل , والجهاد , وإعلاء قدر العلم والعلماء , فستوجب المدح لأجل ذلك" .[2]

الصورة : يشير صاحب الكتاب في هذا الخصوص إلى الآتي : " لقد ظلت الخاصية التي أشرنا إليها قبلئذ سائدة قصيدة الشاعر حيث يظل حرف الباء هو المحور الدلالي والإيقاع الذي تصب فيه مختلف القوالب الأخرى, إذ كل بيت ينبني أصلا على ركح حرف ب لينتهي كذلك بحرف الباء ,وبين البداية والنهاية بنيات حشوية يتحكم فيها هذا الحرف ويفرض عليه سلطته ليسجنها داخل حيز لا تريم عنه, إنه قدرها ومآلها:

وهذه هي الصورة التي تسيطر على القصيدة كلها . "[3]

[1] الخطاب الشعري عند فقهاء المغرب العربي. ص 435
[2] المصدر نفسه . ص 435
[3] المصدر نفسه , ص 84

ولعل هذه الصورة القاتمة تبرز أكثر في نهاية القصيدة حين يخصص اللوحة الأخيرة للمآل الذي لا بد منه, لنهاية كل شيء ,في هذا الخصوص .

كما يضيف الكاتب عن مقطوعة التازي يقول : " لم ترد مضخمة بالصورة البلاغية التقليدية إلا ما جاء في البيت الخامس من كناية عن موصوف حيث وصف الله سبحانه وتعالى ب ذي الطول و الغنى أما ما ساهم في الإيقاع بصورة عامة فلم يكن الشاعر في عوز إلى أن يشحن مقطوعته بكثرة التراكمات والترصيعات , بل اكتفى بترصيع في البيت الأول , وبمقابلة بين البنيات اللفظية وهو ما يلاحظ في البيت الرابع أيضا ."[1]

2-1 : المصطلحات النقدية الواردة عند محمد مرتاض:

_ الحوار الخارجي : ويقصد به " العلاقة التي تتم بين الشاعر وبين ما يوظفه من قضايا خارجية لتوضيح موقف أو تأكيده , أو إقناع بشيء ما . "[2]

_ الحوار الداخلي : يقول الكاتب إنه " يعد طبيعيا في كل عمل فني , وهذا النص نزعم أنه قد اختمر بطريقة أو بأخرى في ذهن صاحبه مدة قد تكون طويلة أو قصيرة تبعا للموقف , والمناسبة , والداعي الذي له أكبر نصيب في نماء النص وثرائه , أضف إلى ذلك معايشات الشاعر وما يشتمل عليه فكره من ترسبات ثقافية لها دورها بلا شك في إبداع النص وتأليفه "[3]

[1] الخطاب الشعري عند فقهاء المغرب العربي. ص.75. 76
[2] المصدر نفسه. ص 442
[3] المصدر نفسه . ص443

_ بؤرة القصيدة : يعرفها بالقول " لكل قصيدة مفتاح طالما كان كل نص عبارة عن بنية مغلقة كما ينص عليه اللسانيون , ولذلك فإن الوصول إلى سر النص والولوج إلى عمقه شيئان ضروريان للأخذ بناصيته , والإمساك بتلابيبه. " [1]

أضيف بعض المصطلحات التي أوردها الكاتب في الكتاب منها :

_ البنى ، بنية .

_ التناص .

_ الاقتباس .

_ الانزياح .

_ الباث .

_ المتلقي .

_ المعجم الفني .

_ الفضاء الشعري .

_ الزمن الأدبي في النص :

يعرفه بالآتي : " الزمن الأدبي هو من ابتكار الدراسات الحديثة التي تغلغلت في صلب الخطاب , وعنيت في عمق بمدلول اللفظة , فنتج لها عدة أوجه في هذا الصدد من خلال

[1] الخطاب الشعري عند فقهاء المغرب العربي. ص444

التقليبات المختلفة لبنية اللفظة الواحدة حتى أنها قد تجعل لفظة واحدة تتمثل الزمانية والمكانية , أو الزمان والفضاء معا ."[1]

_ الإيقاع الداخلي :

يقول عنه " مما لاشك فيه أن الإيقاع الداخلي غدا مألوفا في دراسة الخطاب الشعري أو الأدبي بعامة , وما عاد هنالك من لايعتمد عليه في دراسة النصوص , فماذا يقصد بالإيقاع الداخلي ؟ إنه ببساطة إيقاع ينجم غالبا عن تشابه آخر العروضة وآخر الضرب , وهو ما يعبر عنه بالتصريع , وهو ينتج أيضا عن التقطيع الداخلي أو عن جرس الكلمات ."[2]

_ الإيقاع الخارجي :

يقول عنه " ينشأ عن عوامل خارجية , تحرك النغم , وتحدث اهتزازات في الترداد الصوتي للألفاظ , ولاسيما النغم الناجم عن البحر والروي ." [3]

هذه مجمل المصطلحات التي وردت في كتاب محمد مرتاض .

ثالثاً: المنهج النقدي عند محمد مرتاض.

بهذه الكلمات أستهل هذا الفصل منا أجل تقديم رؤية واضحة للمنهج النقدي عند مرتاض , إذ يقول عن المقطوعة الأولى أنها "على نسق واحد متموسق هادئ يتماشى و هذا الغرض ارتأينا لو أن صاحب الأزهار أثبت لنا القصيدة كاملة ولكنه كدأب القدامى يقتصر على إيراد

[1] الخطاب الشعري عند فقهاء المغرب العربي , ص 312
[2] المصدر نفسه . ص 330
[3] المصدر نفسه, ص 336

الأبيات الخمسة الأولى ,بمثل هذه العبارات المقتضبة إذا ، ضاع التراث العربي واندثر في جران النسيان , والذي يهمنا الآن ليس هو النواح على ما ضاع ولكن التعريف بما فضل على الأقل و هذه أحد الأسباب التي حدت بنا إلى جمع هذا التراث الضخم كي يستفيد منه الدارسون الآتون بعد بحثنا هذا فنوثق ما هو ضائع ، ونلم شتات الذاكرة المهملة."[1]

" وأول ما يسترعي الانتباه هو أن الشاعر يوظف الأنت . المخاطب . ليكون خطابه أصلح للحديث مع النفس ولمناجاتها بحقائقها التي يعلمها ، والتي لا تستطيع إنكارها أو جحودها . ولقد اختار لمقطوعته حرف الروي كافا لما يحمله من معنى الاستكانة والليونة والهدوء ،أو إلى صياح وزمجرة وفضح ، وهو ما يرومه الشاعر هنا بلا شك حيث إنه عازم على أن يذيع سر نفسه موبخا إياها على اتكالها وسهوها وغيها".[2]

ومن هذا أقف وأستدل على ملامح النقد عنده , و منهجه النقدي ؛ إذ يقف باحترام على القطعة الشعرية يطلب مبناها ، وقبل ذلك يطلب معناها ، و تجده أحوج ما يكون عند ذاك إلى توخي النقد البناء ، كما يعتمد إذ ذاك على ذوقه ، ذكائه ، ثم بصيرته ، فكيف لا يكون مفهوم النقد عنده يرتبط بكل هاته المفاهيم ، ثم يسلمنا كل ذاك إلى رؤيته النقدية المرتبطة هي الأخرى بهاته المفاهيم .

وعودا على بدء ، نجده بداية يعود في تحليله إلى الماضي فيقول : " حلا. مرتان مشفوعة باسم الفاعل . متهالك .، لكنه يفاجئنا بالعودة إلى الزمن المستمر . تظاهر. ليقرنه باسم

[1] الخطاب الشعري عند فقهاء المغرب العربي .ص 65
[2] المصدر نفسه, ص 66

مفعول و اسم فاعل متتابعين يعزز وظيفته ،و يؤديان ما يستطيع هو أن يقوم به :. مخزون . ضاحك ، ويختم هذه السلسلة من الأزمنة بالتركيز على الماضي الذي يدل على أنه هو الخالد لأن كل حاضر أو مستقبل إنما هو عائد إلى أصله _ الماضي_ ، ولا بد أن يصير يوما ما ماضيا ، فالفقيه _ابن خميس_ يصنع شعره باثّا فيه ذاتيته المناسبة ، ومضفيا عليه وجده وحرقه في إيقاع تراكمي متصل يتصل أول بآخره "[1] .

ويقول في مفتتح تحليله لقصيدة الشاعر إبراهيم التازي يشير إلى" أن الأفكار تبدو بسيطة متداولة على عكس سابقتها حين لاحظنا سموا في التعبير ، و جمالا في الإيقاع ، ورقة البنى الإفرادية و إبداعا في البنى التركيبية ، على حين أن الشاعر هنا قد اكتفى برصد الكلمات التي كونت خطابه . ويشعر الدارس لهذه القصيدة أن صاحبها يجد عنتا في الوصول إلى نهاية البيت ." [2]

" والبحث في البنية التي تحتوي على حرف روي الراء وقد لوحظت هذه الصعوبة خاصة في البيت الخامس حين وقع في تكرار مجبرا على إعادة كلمة بعينها و لفظة بذاتها كما جاءت البنى الإفرادية كلها من الخلفيات البعيدة التي لم تعد مستعملة ، و حسبنا ذكر : الشنار _ عرار_عوار_مرتان ... أو هي ألفاظ متداولة رائجة أساء إليها كثرة الاستعمال و تدولها على

[1] الخطاب الشعري عند فقهاء المغرب العربي. ص 66
[2] المصدر نفسه ، ص 71.

كل الألسن فجاءت تقليدية لا تهز المرسل إليه أو الموجه إليها الخطاب : ذكر المنازل والديار_الرباب_ سعاد _ زينب"[1]

وانظر كيف يبسط الكاتب قصيدة الشاعر ، ثم يمضي في عرضها و تحليلها ، يقول : " إن الفكرة العامة لهذه المقطوعة واحدة والأفكار الفرعية تصب في قالب واحد أيضا حيث يتوجه عبد فقير ضعيف عليل عاجز إلى إله غني قوي جبار قادر يهيمن على دعائه الالتماس الذي يحرك المشاعر، و يهز الأحاسيس: فدعاؤه توجه به إلى ربه السميع البصير الذي لا تحفاه خافية في الأرض ولا في السماء هو الذي يعلم خائنة الأعين و ما تخفي الصدور ؛ بل كل ما يسقط من ورقة و ما يختفي من حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين وهو الذي يستجيب الدعاء وحده ولا سميا للمتذلل الخاشع الخاضع ، و لقد كان الشاعر يدعو ، و السعال يهز صدره ، و يمز أحشاءه ، فيسهل انصباب عبراته ، و يتيسر تردد آهاته"[2] .

وقد تخطى في تناوله لقصيدة _ ابن الفارض _ المضمون ، إلى البنى اللفظية ، و أساليب القصر ، و الإيقاع ، و الرمز ، و المحور الدلالي ، والحروف .

و في حديثه عن مرثية _ رضوان الجنوي _ يقول : " و قد جاءت مقطوعته مطبوعة بإيقاع متلائم مع طبيعة الغرض من ذلك : ترداد حرف الفاء في البيت الأول _ و ورود حرف السين و حروف الهمس بصفة عامة بسبب تلاؤمها مع الآهات و لغة القلوب ، و قد تردد

[1] الخطاب الشعري عند فقهاء المغرب العربي, ص 71
[2] المصدر نفسه , ص 72

حرف السين سبع مرات . لكن الظاهرة الفريدة هي غلبة حروف القاف على الحروف الأخرى ولو أن ذلك حصل في خطاب حماسي لكان مقبولا ،إنما أن يحصل في رثاء كهذا ، فإنه قد يكون ممجوجا بسبب ما يحمله في طياته من زعيق و جلجلة . "[1]

وأحلى ما انشده الشعراء الفقهاء في هذا المضمار , ومن أجمل نصوص التأمل و المناجاة قصيدة الشاعر الفقيه ابن النحوي .

ومن وجهة نظري أرى أن الكاتب والناقد بكل بساطة يعرض رؤيته النقدية, ومنهجه وملامح هذا المنهج , وموقفه من المناهج الحديثة بقوله " وقبل تناولها بالدراسة ننبه بان ما تشتمل عليه من صراع نفسي' فرض علينا أن ندرسها بخطة متباينة عن خطط القصائد الأخرى في الفصلين السالفين , حيث بدا لنا أن المنهج السيمائي أصلح لها لكن مع عدم الالتزام الحرفي الضيق بكل حيثيات هذا المنهج وعوامله وفوا عله" [2] .

ويضيف محللا " ومن أهم التشاكلات التي تفرض نفسها هي الأصوات التي تكاد ترجع إلى اصطلاح واحد وهو: (ق, ب , ج , د) والبيت في مجمله قائم على بنية الأمل والانفراج . ولقد ورد تتابع الجيم بخاصة للدلالة على تلاشي الأحزان , وتبديد الآلام , وتتابع لورود حركة الكسرة في البيت , وهي الدراسات النفسية اللغوية تدل على اللطف والصغر. ومن الواضح أن الشاعر ملزم بتكرار حرف الروي ولكنه حر في توظيف الحروف الأخرى لإيصال خطابه إلى

[1] الخطاب الشعري عند فقهاء المغرب العربي ،ص 99.
[2] المصدر نفسه, ص 124

الملتقي , لكن الملاحظ في هذا البيت هو الثقل في الشطر الأول على عكس الشطر الثاني إيقاعه يوحي بتقابل بين الانفراج / البلج." [1].

أما المديح النبوي فاختار فيه قصيدة _ ابن الخلوف _ ليدرسها دراسة سيميائية تفكيكية ، بداية يقول : " ومن هنا يلج الشاعر إلى الطريقة التداولية في التكوين الخطابي حيث يزحزح الغائب ليحل محله الخطاب الموجه نحو حاضر مصغ بكل جوارحه إليه ، بل هو أكثر من ذلك يدري عنه ما يحدثه به ؛ علما بأن القمري هذا يقوم مقام الشخصية القصصية :

_أقمري :إن لم تكن على علم بالراحة في الحب غير عبارات تنصب ، جفن الباث أدرى._أقمري : إن رأيت أن صحة الحب و صب وعلة جسم الباث بها أولى ، وقلبه بها أحرى ". [2]

أما المدح و التهنئة ، فقد قدم فيه دراسة سيميائية لنص التجاني يمدح فيه الملك المريني المستنصر بالله ،يقول على مستوى التفاعل في النص : " ليس هناك خلاف في أن التفاعل لا يتم إلا إن كانت كل معطيات النص و ألفاظه و أسلوبيته يسودها انسجام متبادل ، و لذلك فقد بذل الباث جهودا ملاحظة كي يسود النص من أول بيت إلى آخره على الرغم من طوله وعلى الرغم كذلك من الأفكار الكثيرة التي تخللته .[3]

[1] الخطاب الشعري عند فقهاء المغرب العربي ، ص 125
[2] المصدر نفسه , ص 259
[3] المصدر نفسه ، ص 405

" زاد في هذا التفاعل أن المتلقي ليس شخصية شعرية متخيلة و لكنه شخصية حقيقية حاضرة إزاءه يخاطبها مما فرض عليه أن يختار لخطابه أسلوب الإقناع بيد أن التفاعل الذي حصل في النص لا يقصد به تنازل المبدع عن شخصيته و قيمته ،بدليل أنه أشار أكثر من مرة إلى قيمة شعره و اتسامه بخصوصية التفرد ، فمدحيته هذه تحيلنا إلى مدحيات المتنبي في سيف الدولة لأن التجاني يمدح و لكنه لا يتزلف أو يتملق و إنما يصف حقائق كانت قائمة ، ويثبت أحداثا مسجلة في قراطيس التاريخ جرت في عهد الملك و على يده"[1] .

أما على مستوى _الموضوعات_ فيرى أن النص الذي هو بصدده من نوع " المدح الفني، ومع ما في هذه الصفة من مجازفة و مغالاة و ادعاء فإنه يجب أن ندرس النص في تجرد من كل ذلك غير خاضعين لتأثراتنا الخارجية بالقراءة السابقة ، و علينا عكس ذلك أن ننبذ كل تأويل تقليدي ،بل ندرس الموضوع دراسة مجردة من العواطف أو الأحكام اللامحدودة و هذا التصور هو الذي يفرض علينا أن نبدأ بالمعجم الفني للموضوع ".[2]

وعن الإيقاع يقول : " أن كل يخلو من الإيقاع يجب أن يصنف في خانة النصوص الباردة التي تفتقد إلى الروح ، و تعوز إلى الجاذبية الفنية التي تهز السمع ، وتثير الانتباه . ومن هذا المنطلق يبذل الشعراء و الأدباء جهودهم كي يتسم خطابهم بقليل منه أو كثير

[1] الخطاب الشعري عند فقهاء المغرب العربي ، ص 405.
[2] المصدر نفسه , ص 432.

ولا سيما في الخطاب الشعري حين يغدو فيه إجباريا لا اختياريا ؛و ذلك لأن الشاعر يتعمد غالبا تلاؤم الحروف و تقاربها"[1].

يضيف الكاتب قائلا : " باعتبار إننا قد طبقنا المنهج التفكيكي في هذا النص , فإننا نمضي في هذه السبيل حتى النهاية فنورد مختلف أنواع الافضية التي حفل بها . ومع إقرارنا بان كل لفظة يمكن أن تشكل حقلا خاصا بها , وفضاء قد يندرج ضمن هذه الشبكة أو تلك , فإننا سنقصر القيل على الأنواع المتداولة أو المألوفة في الاستعمال "[2] .

ويقسم المؤلف الفضاءات الشعرية إلى"[3] :

_ الفضاء الحالم

_ الفضاء الشاسع

_الفضاء الضيق

_ الفضاء المنشرح

_ الفضاء الحزين

_ الفضاء الثابت

_ الفضاء المنهزم

[1] الخطاب الشعري عند فقهاء المغرب العربي ، ص 434.
[2] المصدر نفسه ص 296.
[3] المصدر نفسه ص 302 , 303, 304, 305.

_ الفضاء التائه

_ الفضاء الظافر

وهكذا تتضح لنا بانتهاء هذا الفصل معالم وملامح المنهج النقدي عند محمد مرتاض .

الفصل الثالث

جهود محمد مرتاض في نقد النقد .

أولاً : عرض كتاب النقد المغربي القديم.

ثانياً: القـضايا النـقدية.

ثالثاً: المنـــهج النقدي.

أولاً : عرض كتاب النقد المغربي القديم

بداية ، يقول يوسف وغليسي في كتابه مناهج النقد الأدبي : " لقد حاولت أن أتخذ من المناهج النقدية منطلقات لمناقشة بعض النظريات المنهجية والاصطلاحية "[1].

وهذا ما حاول فعله بالضبط إذ عمد إلى بعض من المناهج النقدية من أجل جعلها منطلقا لمناقشة بعض النظريات المنهجية .

لقد تنوعت القراءات التي قدمها " مرتاض" للنقد ، وقد كانت الآراء التي قدمها إضافة في نقد النقد, والقراءة هي كتابة لما " يعتلج في قريحة الكتاب قبل أن يثبت تلك الأفكار المشتتة والمبعثرة على القرطاس في شيء من النظام المتسم بالجمال الفني البديع " [2] .

كما أنه يمكن أن تكون قراءة النقد أو نقد النقد هو" فن دراسة الأساليب اللغوية، واستنباط مطارح الجمال في طرائق التعبير، وهذا هو النقد أو ما ينبغي أن يكون " .[3]

فقد كان مرتاض يقوم بتثبيت ما يعتلج في قريحة النقاد ، ثم يرصد ذلك في قراءته ليقدم للقارئ أسس بناء الخطاب وتفاعله واستخدامه ، والتي تقوم على الانتقاء والتركيب والانزياح وهذا ما يشد القارئ عندما تحكم جيداً صناعة هذه الأسس.

" الإضافة إلى ذلك فإن التراث النقدي يرتبط بغيره من العلوم والمعارف التي تساهم في إثراء أو توجيه مسار قضايا النقد الأساسية "[4] .

إضافة إلى هذا وكما سبق ذكره فإن قيمة النص الأدبي تقوم على الاختيار والانتقاء والاصطفاء ؛أي اختيار الألفاظ اللغوية، وكذا الموقف الذي يحرك الإنسان فيجد

1 مناهج النقد الأدبي. يوسف وغليسي ، الجزائر ،ط1 ،2007 ،ص6 .
2- نظرية القراءة (تأسيس النظرية العامة للقراءة الأدبية). عبد الملك مرتاض، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، د ط، د ت، ص 45.
3- النقد والدراسة الأدبية. حلمي مرزوق، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر ، 2004، ص 5.
4- النقد الأدبي (الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب) .جابرعصفور ، دار الكتاب المصرية/ دار الكتاب اللبناني، القاهرة/ بيروت، ط1، 1424هـ ، 20093، ص 11.

" الأديب نفسه مندفعاً بكل طاقته وانفعلاته وتأملاته إلى صياغة هذا الانفعال في صورة جميلة ". [1]

" رغم نضوج الآراء الإبداعية المدركة للتدخلات والحساسيات الداخلية التي يقوم عليها المكون الأدبي لم يعد النقد الأدبي مجرد كلام سطحي يعقب ظهور أعمال أدبية لقد صار العلم هو القاعدة الحاكمة لهذا المردودات والأفراد في إطار تقنية الثقافة والنقد معا.[2]

فلم يعد النقد الأدبي على ساحتنا الإبداعية مجرد ممارسة نشاط ثقافي يصاحب ظهور الأعمال الأدبية والفكرية مخطوطة أو مطبوعة كما لم يعد برغم ما هو قائم مجرد كلام مجاملة ، لكنه مع تطور أساليب الكتابة لغة ورحابة الرؤية التي تتعامل بقيم عالية مع القضايا المعنية لم يعد النقد هذا فقط، بل أصبح مجال إبداع واع ومدرك.

من أجل مزيد من التوضيح لأهمية النقد التي شغلت مرتاض ، يقول " محمد مصايف " عن النقد ما يلي: " الأديب لا يحمل قلمه ليتسلى بنظم قصيدة أو كتابة، قصة أو مسرحية بل ليقول شيئاً يأخذ بجامع قلبه ويملأ عليه حياة ويشغل تفكيره الناضج، وهذا الشيء يعبر عنه الأديب بأحد الفنون الأدبية المعروفة، ويتخذ لهذا التعبير أسلوباً يناسب الغاية من عمله، ويحترم الفن الذي يكتب في إطاره" .[3]

" وما دامت مهمة الناقد على درجة من الصعوبة والخطورة، فإنها تتطلب دون شك نقاداً ذوي خبرة عالية تمكنهم من مجابهة مهامهم الشاقة بصبر وثبات" [4]. " بإلاضافة إلى هذا فالنقد كالأدب إبداع تصقله الثقافة والممارسة " .[5]

1- شعراء وتجارب (نحو منهج تكاملي في النقد التطبيقي). صابر عبد الكريم، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية/ مصر، ط1، 2001 ص6.
2 - رياح الانشطار (قضايا ومعارك أدبية ونقدية). صبري قنديل، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية/ ط1، 2002، ص 11.
3 - دراسات في النقد الأدب. محمد مصايف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، د ط، 1981، ص 11.
4 - النقد الأدبي الجزائري الحديث. عمان زايد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، د ط ، 1990، ص 36.
5- من أسرار الإبداع النقدي في الشعر والمسرح . سنامي منير عامر، منشأة المعارف، مصر د ط، 1987، ص 7.

إن النقد ضروري في الحياة لأنه يعدل الأعمال التي يشوبها النقص،هذامن جهة أما من جهةأخرى فإن النقد – بالفعل – لا بد له من دعم وتعزيز بالثقافة المتجددة والمتنوعة والمستمرة التي تصقل وتشحذ القريحة النقدية ، وتعمل على تطوير النقد وتجديده.

وعن النقد قيل- أيضاً – إنه : " ذوق شخصي، ولهذا فهو غير منضبط بسبب اختلاف الأذواق " .[1] "هذا عن النقد، أما بالنسبة للقضايا النقدية فإن مستلزمات واقعنا تستدعي بحثها بجد وعمق وشجاعة كافية ". [2]

ومن القضايا النقدية: الأصالة والمعاصرة - مسألة التراث الثقافي وعلاقته بحاضرنا واختياراتنا الأساسية – وقضية الالتزام والحرية وكيفية التوفيق بينهما – وقضية علاقة الأديب بالمجتمع – وقضية الشكل والمضمون، وقضايا أخرى مختلفة ...

" أما عن الأعمال النقدية في الجزائر ، فنجدها بدأت بأسلوب أكاديمي كلاسيكي، سواء أتعلق الأمر بنظريات رمضان حمود النقدية أم بجهود محمد مصايف وعبد الله ركيبي" .[3]

" ولكنهم استطاعوا أن يجمعوا بين الثقافة التقليدية والثقافة الحديثة إلى حد ما إنهم يمتلكون رصيداً محترماً من المعلومات في مجال التراث ولهم طرقهم في فهم التراث وتناوله". [4]

ويتناول مرتاض في كتابه مفهوم الشعر، إذ يدافع عنه ويتحدث عن كيفية نشأته فيقول : " مفهوم الشعر عند العرب يرتبط بالحذق والمهارة واستشراف المستقبل؛ إذا أنه مرادف للفطنة ، ودعامة للعلم الذي ينصرف إلى مختلف القضايا التي تصب كلها في واد واحد؛ أي في الارتفاع بالشعر إلى أسمى درجاته، وأعلى مراتبه ؛ وهو لن يكون كذلك إلا إذا جاء على أيدي شعراء يتقنون القواعد، ويحذقون الصنعة " .[5]

1 - دراسات في الأدب والفكر. محمود السمرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1993، ص 157.
2 - شظايا النقد والأدب (دراسات أدبية). عمارية بلال – أم سهام، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1989، ص 115.
3 - الرواية والتحولات في الجزائر(دراسات نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية/ دراسة).مخلوف عمر، اتحاد الكتاب العرب دمشق، د ط، د ت، ص 7.
4 - متابعة في الثقافة والأدب (دراسة). مخلوف عامر، اتحاد الكتاب بالجزائريين ط1، 2002، ص 213.
5 - النقد الأدبي القديم في المغرب العربي(نشأته وتطوره – دراسة وتطبيق). محمد مرتاض، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 2000، ص35.

إن من يمعن النظر في هذا الكتاب يلاحظ فيه تعليقات الكاتب ونقده ؛ إذ حاول فيه أن يعالج موضوعا رئيسا يتعلق بمفهوم الشعر وببنيته عند نقاد المغرب العربي خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين تفرعت عنه قضايا جزئية صبت مجاريها كلها فيه ، فكان الاعتراف صريحا بصعوبة التحديد الدقيق لبداية النقد الأدبي في المغرب العربي .

" ثم عرجنا على البحث في قيمة الشعر ومفهومه، وفي بداية الشعر وقيمة الشاعر في نظر مختلف أعلام النقد الذي ينضوون تحت لواء الفترة المشار إليها،وركزنا على مناهج النهشلي في نقد الشعراء، ومفهوم الشعر عند القزاز، وتسامحه مع الشعراء في الضرائر،ثم أوضحنا أستاذية ابن رشيق في النقد الأدبي وبنية الشعر عنده لنختم بمفهوم الشعر عند ابن شرف"[1] .

ثم يقول : " فتبين لنا أن الحصري وقف موقفا لا ننعته بالتذبذب والتردد ولكن بالوسطية ،لأنه مال إلى الجديد مرة ، والى الحياد أخرى، وان كشف صراحا عن إن الصراع بين النقاد كان أحيانا لذاته ، وليس من أجل خدمة الفن "[2] .

ثم يقول عن النهشلي أنه " خلص إلى نظرية نقدية رصينة تتمثل في أن جودة الإنتاج لا تعرف زمانا ولا مكانا فهي في الواقع بقيمتها لابتقادمها، وذلكم ما نلمسه عند تلميذه ابن رشيق الذي أنصف الصنفين معا لأن الجديد سيؤول إلى قدم، وهذا القديم كان بالأمس جديدا . على أن هذا الرأي المتزن لم يعمل به كل من القزاز وابن شرف اللذين انحازا علنا للجديد وانتصرا له "[3] .

ومن خلال استعراض مرتاض لكتابه يتجلى أنه قد أسهم بقسط وفير في وضع منهجة لنقد النقد ، ودوره لا ينكر في الدفع بالحركة الأدبية والنقدية في الجزائر ، وفي إثرائه للمكتبة الجزائرية ، ويستبين ذلك في القضايا التي أبنت عنها، والتي تتعلق على وجه الخصوص بمحورين رئيسين :

1 _ النقد الأدبي القديم في المغرب العربي. ص 63
2 _ المصدر نفسه . ص 90
3 _ المصدر نفسه . ص 90

_ يتمثل الأول منهما في استعراض جانب من منهج مرتاض ، حيث تبين أنه كشف عن شمولية في هذا المنهج ، وعن التزام شديد في التوثيق ، وعن حرص على الموضوعية ، كما اتسم بالموسوعية .

_ ويتمثل الآخر في بحث ماله علاقة بتأسيس منهج نقدي مبتكر،" ولم يمنعني ذلك من الوقوف عند قضايا لها آصرة بهذا الجانب الابتكاري ، ثم التعليق على مضمون هذا المنهج وما حملته طياته من ابتكار وجدة وتميز "[1] .

وحاول أيضا الكاتب أن يؤرخ في بحثه " لظهور النقد الأدبي في المغرب العربي ، وأن نزيح الستار عن بعض الشخصيات التي استطاعت أن تفرض وجودها ، وتثبت قدراتها المعرفية والنقدية من خلال ماتركته من بصمات واضحة في مجال النقد الأدبي . وشأن كل موضوع بكر، فإن هذا البحث نعترف هنا ونحن نوشك على إنهائه بأنه تشوبه ثغرات ، وتتخلله نقائص يحتم علينا المنطق والنزاهة أن نقر بها ،لكن عزاءنا أنه بحث يعد رائدا أو يكاد في حقل الدراسات النقدية المغربية القديمة ، وأملنا وطيد في أن يكون هذا العمل مدعاة لأقلام أخرى كي تقوم ما كان معوجا ، وتضبط ما كان زائغا ."[2]

ويقول في كتابه النقد الأدبي في المغرب العربي بين القديم والحديث" النقد الأدبي وما أدراك ما النقد الأدبي ؟ إنها كلمة ترتاح لها الأسماع ذلك أن النقد الأدبي في العالم العربي ، وبالرغم من الإرهاصات التي تطلع أغصانها هنا وهناك ما بين الفينة والأخرى فإنه ما يبرح يبحث عن شخصية ويجري وراء الإمساك بضالته "[3].

وهذا يعني في نظري أن مرتاضيعطي مفهوماً واسعاً للنقد ويحسب له ألف حساب ، ولا يتجرأ أن يعطيه مفهوما معينا ، أو يحكمه برأي. معين أو وجهة نظر خاصة أو يمكن أن تكون خاطئة .

---

[1] النقد الأدبي القديم في المغرب العربي. ص 218

[2] المصدر نفسه . ص218

[3] النقد الادبي في المغرب العربي بين القديم والحديث ، محمد مرتاض ، دار هومة ، الجزائر ، 2014، ص05.

أثر النقد في توجيه الكاتب :

يقول : " ويحمل بالناقد ان يشترط في القاص التعبير عن حياتنا وهمومنا ، ومشاكلنا ومجتمعنا عن حاجاتنا وعن قضايانا الأساسية "[1].

ولكن هذا الذي اشترطناه ما ينبغي أن يغطي على النقص الفني أو الشكلي ذلك أن العمل الأدبي كل لا يتجزأ ، أي أن أفكار الأديب لا جرم لها من النأي عن المباشرة المفضوحة ، فإن حدث هذا صادفناه في قراءتنا لبعض ما ينشر في قصص ، فإن ذلك عليه مصطلح مقالة أو خاطرة ، لا قصة .

ويقول أيضا : " النص الأدبي يحمل كثيرا من الثمار التي يجب أن يبحث عنها المتلقي فهي بطبيعة الحال ثمار شهية ولكن قطعها ليس بالأمر الهين ، مما يعني أن التفاعل مع النص ضروري كي نتوصل إلى ادراك كنه معانيه والغوص في بحوره وذلكم لا يحصل إلا بمحاولة تأويل أفكاره وتشريح قضاياه وتفكيك بنياته الكبرى والصغرى "[2].

وقد تعددت في الاجتهادات في القراءة للنص الأدبي وأدلى معظم الدارسين بإدلائهم في توجيه المتلقي إلى استكشاف أعماق النص والغوص في بؤرته ، ومن ثم القبض على عناصره الأساسية .

مفهوم وصف الطبيعة عند محمد مرتاض :

قد أورد الكاتب مفهومه للوصف يقول:"ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات "[3].

ومعنى هذا المفهوم عند الكاتب أنه يصف الموصوف بأوصافه الحقيقية.

يقول محمد مرتاض " والنص لايشتمل على الإشارات الإلهية ولكنه نص في الزهد أكثر منه في التصوف " [4].

[1] السرديات في الادب العربي المعاصر ، محمد مرتاض ، دار هومة ، الجزائر ، 2014، ص 17.
[2] تحليل الخطاب الادبي ، محمد مرتاض ، دار هومة ، الجزائر ، 2014، ص11.
[3] التجربة الصوفية عند شعراء المغرب العربي ،محمد مرتاض ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2009 ، ص 68.
[4] المصدر نفسه ، ص68.

وأرى أن هذا الرأي مكبل بالقيود الصوفية الفلسفية ، المحاطة بهالة الدراويش ، وهو يبالغ كثيرا في هذا الكتاب في التعريف بالتصوف ، أقسامه ، ومعانيه ، ومقاصده وتعاريف كثيرة ، ومتعددة ، ومتنوعة ، واشتقاقه ومبادئه واستغرق استغراقا كبيرا في المقامات ، وفي الأحوال وغاص وغار بشكل كبير في هذا ،وهذا من بين المآخذ الكبيرة على هذا المؤلف .

ويقول محمد مرتاض في كتابه التجربة الصوفية عن أحد الشعراء الذين درسهم عبد المالك بن قطن :" من شعره في الرثاء ما قاله في الإمام سحنون غب وفاته والذي يبدو أنه شعر ضعيف على عكس ماقيل عنه بأنه من الشعراء المطبوعين والمثال جلي في هذه المقطوعة حيث تسيطر العامية على ألفاظه وتكاد الشعرية تغيب مما يشي بأن الشاعر كان يلفي عنتا بيناً وهو يشحذ ذاكرته كما لو كان ينحت من صخر "[1].

من هذا النص ، وكل النصوص التي تابعتها ، أنه ليس هناك جديد على مستوى المنهج النقدي أو المصطلحات ، أو الرؤية ، ولكن الجديد الذي يجب أن أقف عليه ، هو الشعراء صعب الوصول إليهم والى شعرهم ، ولكن أن المنهج ليس هناك منهج معين أو محدد لدراسة الشعراء المغاربة .

فقط مجرد وصف وشرح للشعر الشاعر ، وأرى أن الكاتب يصف ، ويشرح ويحلل ، ليس هناك منهج معين يتبعه في تحليل النصوص الأدبية ونقدها .

وسوف نرى ذلك في تناوله للشاعر التيهرتي يقول : " قد يعسر البحث عن كل الآراء التي قيلت فيه ولاسيما ضوء النسيان الذي طبع الأدب الجزائري القديم كله أو جله ولذلك فإن ما نورد هاهنا لا يمثل الصدق المطلق في تقويم شعره أو هو إضاءة مشرقة لمعالم فنه وإنما هو عبارة عن هدي لمن رام استزادة و تفصيلاً " [2].

وأرى في هذا الرأي والنص ، والقول أن الكاتب قام بتباع المنهج التأثري أو الانطباعي ، وهو من المناهج السياقية التى أكل عليها الدهر وشرب ، إلى جانب قصورها

[1] التجربة الصوفية عند شعراء المغرب العربي ، ص 60.
[2] المصدر نفسه، ص 62.

الإجرائي والمفهومي والمصطلحي ، ويشهد الخطأ والقصور في التطبيق ، فمثلا : يعطي الناقد أحكامه التأثرية ، مكونا انطلاقتها تأثري بما يتأثر به عن طريق النص ، لما تكون الانطلاقة خاطئة بالتأكيد النتائج سوف تكون خاطئة وهذا بالإضافة إلى الأحكام تطلق ليس انطلاقا من التحليل تحليل الألفاظ والعبارات أو النظم الكلي ، أو شعرية النظم ، أو أي شيء من هذا القبيل.

يقول الكاتب : " حكي ان زوجته دفعت اليه نسيجا وقالت له بعه واشتري لنا بثمنه أضحية العيد ، وإياك ان تجود بها على غيرنا كدأبك ابدا فباع ذلك النسيج الذي تعبت فيه امرأته "[1].

فمثلا : هذا النص لا ينطلق الكاتب من عباراته وألفاظه ، وإنما يعطي احكاما تأثرية من الانطباع الاول ، سريعة ، ليست مبينة على حقائق ، او تحليلات او غوص في النص ، او في عباراته ،ثم الفاظه ، فأسلوبه ، فنظمه ، ويتتبعه من جذور ، الى النص .

يقول الكاتب : " لا يختلف عن غيره السابقين حيث انه هو بدوره ايضا قد ضاعت في جران الايام اثاره وأتلفت مؤلفاته وهمشت اشعاره فلم تصلنا الا نتف منه حيث ان الغبريني لم يكلف نفسه البحث كثيرا على ما يبدو او انه فعل ولكنه لم يعثر إلا على النموذج الذي اورده في عنوان الرواية " [2].

هنا يبدو الكاتب لم ينطلق من النص ، فالمنهج التاثري في هذا الكتاب ، وقد استطاع هذا المنهج في هذا الكتاب قد تغلب على الكاتب فالنص له سلطة ، إلم تدع سلطة النص تفرض نفسها ، وتقودك الى حيث يريد النص ، والى جمال النص ، وشعريته وروعته ، لن تجد للنص حلاوة اذا فرضت على النص منهج معين كالتأثري او الانطباعي .

[1] التجربة الصوفية عند شعراء المغرب العربي ،ص 72.
[2] المصدر نفسه ، ص 89

وكذلك في هذا النص : " ترك النميري الغرناطي شعرا متفرقا ضاقت المظان عن احتوائه فضنت على المتلقي بذكره او الاسترسال ، وقال واصفا عين ماء وقد وقف حاجب السلطان على عدوتها يشرب ببعض الثغور " [1].

ان هذا النص حجة واثبات اخر على التاثرية التي طغت على هذا الكتاب رغم اهميته ، وهنا تكن النظرة التاثرية للكاتب في هذا ، وذلك لأنه لم ينطلق من اللفظ والنظم من اجل الوصول الى شعر النص الصوفي .

_ الأخذ الأدبي في نظر نقاد المغرب العربي:

_ رأي ابن بسام الأندلسي في الطبع :

يقول الناقد محمد مرتاض" أن ابن بسام الأندلسي يرى أن أصحاب صنعة الكلام لا يستحقون صنعة البيان إذا خرجوا عن طبقات ثلاث ويعرض اثنين :

1-الشعراء أصحاب الطبع المصنوع هم الذين لا يأتي لهم الكلام إلاّ بكد القريحة .

2- وهناك طبقة ثانية رأى النقاد أن أصحابها ينتمون إلى البديهية والرويّة.

فالطبع منحة إلهية ، وموهبة لدينا لا دخل لأحد فيها ، على أنه ما ينبغي أن يفهم أن الطبع تنكر للفن ، أو الجهل بالثقافة والمثاقفة"[2].

" لكل فن من الفنون الأدبية جذور قد انبثقت منها فالشعر ينطوي تحت مفهوم، إن الرسم والشعر والموسيقى والرقص النحت أنواع من التقليد تقوم على محاكاة الطبيعة انطلاقا من أريسطو في حين أن هوراس يقول أن الشعر مثله مثل الرسم غير أنه صامت في حين أن الشعر صورة ناطقة ، يقول المؤلف أن هذه المفاهيم أصبحت قيدا لنقاد العرب إلا أنهم يحاولون

[1] التجربة الصوفية عند شعراء المغرب العربي ،محمد مرتاض ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2009 ، ص 96.
[2] النقد المغربي القديم في المغرب العربي ، ص 36

إدخال الشخصية العربية بداية مع قدامة بن جعفر أنهى قوله بطرح سؤالأعطى لمحة تمهيدية كيفية انتقال مفهوم الشعر من الغرب إلى العرب".[1]

و قد حدد الكاتب " البدايات الاولى للنقد في المغرب الأقصى بخاصة حيث كان مع عبد الكريم النهشلي في كتابه المعنون ب:كتاب الممتع في علم الشعر وعمله،في الجزائر بالإضافة إلى ذكر أبرز الأعلام فيها الذين ساهموا بزاد في الدراسات النقدية نقول أن المؤلف ركز على الشعر(بداياته ، تأثيره وأغراضه)".[2].

" الحوار حول مفهوم الشعر بين القديم والجديد بالرغم من أن اللفظة واحدة إلا أنها ثقيلة في الميزان لقيت جدل شاسع على الصعيد النقدي على الرغم من تعدد المفاهيم في القديم إلا أنها تدور حول الفطنة والشيء الجديد عند عبد الكريم النهشلي أن مفهوم الشعر يرتبط بالحذقة والمهارة غير أنه يرتبط بشعراء يتقنون القواعد ويحذقون الصنعة يقول أن الشعر أبلغ البيانين،وأطول اللسانين،وأدب العرب المأثور وديوان علمه المشهور حين يقول أن النص النثري أكثر استيعاب يفرض نفسه على المتلقي أكثر من النص النثري، هنا المقصد أن النص الشعري سهل عكس النثر.[3]

" بداية الشعر ومفهومه عند المغاربة بالأخص عند ابن رشيق القيرواني عرضه لرأي عبدالكريم النهشلي إلا أنه التمس بعض النقص غير أن أستاذه ينوه عن بذرة هذا الفن وهي الرواية التي كانت قبل ظهور الإسلام 1500 سنة كان شخص اسمه المدر لديه اسطبل به جمال بقربه جبل صعد هذا الجبل فسقط على يده فبدا يردد ويداه ويداه فإذا بالإبل تلتف من حوله فاكتشف أن هناك إيقاع فتطورت الفكرة إلا أن أصبحت مفهوم الشعر اليوم.[4].

[1] النقد المغربي القديم في المغرب العربي ، ص 36.
[2] المصدر نفسه ، ،ص 38.
[3] المصدر نفسه ، ، ص 38.
[4] المصدر نفسه ، ،ص 39.

قيمة الشعر بحيث لا يمكن نكران دور السليقة التي منحتنا موسيقى تأخذنا أبعد مما نتصور عالم مميزاته الشاعر،فالشعر يعتبر بمثابة السلاح الفتاك الذي هز الكون ، في العصر الجاهلي يولد الشخص بهذا الفن في قبيلته لأنه كان يستخدم كوسيلة لمواجهة الحياة بكل ما فيها.[1].

ثانياً: القـضايا النـقدية.

لعل الكاتب يقف أمام هاته القضية، إذ يقول : "ونحن لم نجئ بعد مضي هذه القرون الطويلة على نظرات القدامى لنفندها أو نمحوها لأن ذلك مستحيل، بل حرام ، فهو إرث هائل من الأفكار التي طفحت بها القراطيس القديمة ،والفكر لا يصادر أو يباد ، وإنما جئنا اليوم لنحييها ونسلط عليها الضياء الذي يقربها إلى رجالات عصرنا من المثقفين ولا سيما أنها فرضت نفسها وأثبتت وجودها وغدت من الأشياء المكتسبة بالإرث . ولولا هذا الأثر الذي تركته في نفوس المتلقين لما أعيد الحديث عنها تارة أخرى ونبش عنها في زماننا هذا."[2]

يضيف الكاتب بأن السر في ذلك لعله " يعود إلى أن هذه القضية هي أم القضايا الأخرى حيث ينضوي تحت لوائها كل ما يتعلق بطريقة الصياغة وبديباجتها، مما انجر عنه تكوين طائفتين إحداهما تنجح لجمال البنية ،وبنية الإيقاع ، وصورة التشكيل في العمل الشعري ، وأخراهما تمهل هذا الجانب ولا تهتم إلا بما يحتوي عليه الموضوع من حكمة بليغة ،أو مأثرة خالدة ، أو معنى سام لم يطرقه أحد من قبل ،وهاتان القضيتان أفضتا إلى مؤيدين لهذه الطائفة ، ورافضين لتلك الطائفة مما نجم عنه أنصار آمنوا بما تركه القدامى فدافعوا عنه باستماتة"[3].

" ثم آزروه وأيدوه ، وآخرون وقفوا موقف التشدد من هذا القديم فاعتبروه عظاما نخرة أتى عليه البلى وأكله الدهر فنبذوه وألقوه جانبا ، وكلتا الطائفتين تسرعت ، لأن مثل هذه القضايا تعد الأحكام فيها نسبية لا نهائية " [4] .

---

[1] النقد المغربي القديم في المغرب العربي ، ،ص 40.
[2] المصدر نفسه. ص 67
[3] المصدر نفسه ، ص 67
[4] المصدر نفسه. ص 67 . 68

يقول الكاتب في هذا الشأن ، بأن طرح " مثل هاتين القضيتين على حلبة الصراع لم يعرفه المغرب العربي وحده ، بل إن المشرق العربي كان السباق إلى هذا التباين في الحكم ،والجدل في القول ،فالنقد صنو الأدب يزدهر غالبا بازدهاره ،ويباد بإبادته"[1] .

يصرح الكاتب عن سبب ذلك والذي يرجعه إلى الشعر بالقول :

" ذلك أن الشعر هو الذي طعم هذا الرأي عن طريق الانتصار للمبنى أو المعنى أول الأمر، ثم ألفت كل فئة أنصارها فتمايز على الساحة الرأيان، وكان ذلك ناتجا عن ظهور شعراء أفذاذ استطاعوا أن يستميلوا أقواما بفنهم وإبداعهم ، فإذا أنصار اللفظ يثيرهم البحتري بجمال شكله ،وروعة نسجه ، وإذا أنصار المدلول يجذبهم جبروت معاني أبي تمام وركيزة صناعته التي تجلت في الإخفاء والإبعاد على درجة الشطط أحيانا"[2].

" بيد أن أولئك كله ألفى من يؤازره ويشد على يده ، وبذلك ظهرت مدرستان متباينتان : مدرسة الصنعة بأستاذية أبي تمام، ومدرسة الطبع بأستاذية البحتري، وهو ما شحذ أقلام النقاد على إبداء وجهات نظرهم في هذا النوع أو ذاك، وأظهر إلى الوجود مجموعة من الدراسات النقدية كان أشهرها : الموازنة بين الطائيين للآمدي ، والوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني . "[3]

ثم يعلق الكاتب عن هاته القضايا بالقول: " فكان أن برز من هؤلاء النقاد من ركزنا عليهم في الفصل الأول وهم : عبد الكريم النهشلي ، وابن شرف القيرواني، وأبو إسحاق الحصري، وأبو الحسن بن رشيق، وأبو عبد الله القزاز موردين أهم إسهاماتهم في هذا المضمار ، مكررين المقولة التي ألمعنا إليها من قبل، والمتعلقة بالحديث عن الاستشهادات التي اعتمدوها في مانظروه "[4] .

[1] النقد المغربي القديم في المغرب العربي . ص 68
[2] المصدر نفسه ، ص 68
[3] المصدر نفسه . ص 68
[4] المصدر نفسه . ص69

وألاحظ من خلال القول الآتي أن مرتاض يميل إلى المعنى : " فتبين لنا إن الحصري وقف موقفا لا ننعته بالتذبذب والتردد ولكن بالوسطية، لأنه مال إلى التجديد مرة ،وإلى الحياد أخرى، وإن كشف صراحا عن أن الصراع بين النقاد كان أحيانا لذاته، وليس من أجل خدمة الفن" [1].

" وأوضحنا في هذا الفصل أيضا رأي النهشلي الذي خلص إلى نظرية نقدية رصينة تتمثل في أن جودة الإنتاج لا تعرف زمانا ولا مكانا فهي في الواقع بقيمتها لا بتقادمها، وذلكم مانلمسه عند تلميذه ابن رشيق الذي أنصف الصنفين معا لأن الجديد سيؤول إلى قدم ، وهذا القديم كان بالأمس جديدا. على أن هذا الرأي المتزن لم يعمل به كل من القزاز وابن شرف اللذين انحازا علنا للجديد وانتصرا له . "[2]

أما فيما يخص السرقات الأدبية فتجده يتساءل قائلا : " لماذا التعرض إلى هذه النقطة التي تبدو أخلاقيا غير مستساغة ، ولا محبذة ، إذ بحسب المرء أن يذكر هذه الصفة حتى ترتعد الفرائص، وتهتز الأوتار السمعية خشية من أن ترمي بها وتقذف بحممها ! . ولعل هذا هو السر من وراء بحث الأقدمين لهذه القضية حتى ذهبوا في ذلك مذاهب، ونحوا مناحي فعرفوها وبينوها وفصلوا القيل فيها ، وكان من أقبح ما يهتم به الشعراء أن توجه لهم تهمة السرقة . "[3]

ثم تحدث الكاتب مطولا في كتابه عن السرقات الأدبية ، فيقول في موضع منه : " هكذا شغلت هذه القضية مختلف المظان التي عنيت بالتطرق إلى الشعراء ، فلم يسلم من مثالبها حتى الشعراء الكبار من أمثال أبي الطيب المتنبي، وأبي العلاء المعري، وحبيب بن اوس الطائي، وعبادة بن الوليد البحتري، وغيرهم ، ولذلك نجد معظم نقاد المشرق العربي قد احتفلوا بهذا الموضوع ، وتعرضوا إلى مختلف الجوانب المتعلقة به ، ولاسيما بعد بروز هؤلاء

[1] النقد المغربي القديم في المغرب العربي ، ص90
[2] المصدر نفسه . ص 90
[3] المصدر نفسه . ص 93

الشعراء الكبار، وبعد زعامة كل واحد منهم لمدرسة تخصه ، فظهر الصراع حول أيهم الأفضل، وحول أيهم الموفق ، بل المتفوق . "[1]

إن من القمين الإشارة إليه هو أن هذه القضية شائكة جدا، كما هو الشأن للتي تليها وهي قضية الطبع والصنعة، فيقول الكاتب في شأنها : " لم تقل شأنا ولا صراعا عن سابقتها، لأن إحداهما مرتبطة ارتباطا عضويا بالأخرى، إذ أن ما ينجم عن السرقة يفضي حتما إلى ما عرف في النقد العربي بالطبع أو الصنعة، فلماذا هذا الطبع ؟ ولماذا هذه الصنعة ؟ والجواب بسيط ، وهو أن هاتين القضيتين قد عرفتا في تاريخ النقد العربي محامين عن (الطبع) وآخرين عن (الصنعة)"[2].

" وعندما تذكر هاتان النقطتان اللتان تسيران في خطين متوازيين متناقضين كثيرا ما يمثل لمدرسة الصنعة بأبي تمام، ولمدرسة الطبع بالبحتري، وكل واحد من الشاعرين يعد رأس مدرسته مما يعني أن له أتباعا وتلامذة ينضوون تحت لوائه . وقد سبق نقاد المغرب العربي كثيرون ، منهم شيخ المدرسة الفنية : الجاحظ وغيره من أمثال ابن المعتز ،وابن قتيبة ، والباقلاني ، والآمدي ، والجرجاني . "[3]

ثالثاً: المنهج النـقدي.

ان المنهج النقدي فيه العديد من المفاهيم التي تناثرت محتوياتها في ماسبق ذكره ومدعاة تعرضي لهذا الجانب هو اقتناعي بأن ما تركه هؤلاء النقاد لم يكن مجرد لمحات عابرة أو وقفات قاصرة ولكن مرتاض حاول أن يؤسس لمنهج نقدي يطبعه الوضوح ويسمه التبيين .

وما أروم توضيحه والتأكيد عليه ، هو أن مرتاض عند استعراضه لرأي النقاد يقوم بذلك من غير ما تمرن أو تدخل ، يتركها كما هي ، ولكن حين يرى أن تلك الآراء تعوزها التكملة أو

[1] النقد المغربي القديم في المغرب العربي . ص 95
[2] المصدر نفسه ، ص 141.
[3] المصدر نفسه . ص 141

الإفاضة أو التحليل ، فإنه لا يتوانى عن التوضيح أو المخالفة ، وهو حينئذ يعتمد طريقة _ نقد النقد _ كما أن مرتاض يتناول أحكامه النقدية بصورة متأنية تطبعها الصرامة الفكرية ، والحذاقة الفنية ، كما يفهم من تعليقه ؛ يقول : " فابن رشيق لم يكن ناقدا تقليديا يستعرض آراء سلفه ومعاصريه ويمضي ، ولكنه كان حاذقا متمكنا من النفاذ إلى العمق الفني وهذا سبب اختلافه مع بعض الآراء والنظريات و هو أكثر من ذلك ينهج نهج النقد التأويلي الذي هو أرقى المناهج ، لأنه يقلب المقولة ظهرا لبطن قبل أن يقتنع ويعرضها على محك المستوى الفني مثل قوله ولعل الرواية وكادت وهو شأن الخبير بخبايا الأمور المتعمق في فهم الخطاب الشعري البعيد عن التداول الساقط والتقريرية "[1].

والواقع أن النص الموالي سيثبت أن مرتاض يمعن النظر في النصوص والنقاد ، ويدقق الملاحظة في ذلك من أجل الوصول إلى الحكم الذي ينطق به إذ يقول : " إن هذا النص الذي جئنا به شاهدا على منهج النهشلي لا يكاد يمثل النقد في شيء ، لأنه في الواقع يتحدث عن قيمة البيان الذي له اتصال وثيق بالبلاغة أولا وبالنقد ثانيا ، وهذا البيان هو ما أداه عنها الشعر المتمثل بالحكم الجارية ، والأمثال السائرة . فهذا الشعر إنما هو تعبير عن قيم لصيقة بالبيئة العربية وعن شيم سامية متداولة"[2] .

ثم يضيف الكاتب القول الآتي : " إن النهشلي في هذا النص قد قام بشرح بسيط يمكن لأي باحث مبتدئ أن يتوصل إليه وهو قد اقتصر على الشرح المجرد من غير تعرض للصور الفنية التي كانت بلا شك ستقوي شرحه وتعضد تفسيره وهو قد اعتمد على جزء من البيان الذي رأيناه في نص سابق إعجابه به وميلانه إليه ومن هذا المنطلق يتجلى الفرق الشاسع بينه وبين ابن رشيق الذي كان يقلب الرأي ويعمل في كثير من الأحيان نظره فيه نافذا إلى عمقه مؤولا كثيرا من إيحاءاته "[3].

---

1 النقد المغرب القديم في المغرب العربي ، ص199.
2 المصدر نفسه . ص201
3 المصدر نفسه. ص 202

يعلق الكاتب مضيفا : " لن نبالغ إذا أكدنا في نهاية الحديث عن السرقات الأدبية أن هذه التسمية ما هي إلا صورة من صور اللجاجة في النقد العربي القديم ذلك أن المتفق عليه هو أن الشاعر في عمليته الإبداعية يصف المنظر أو ينقل الصورة أن الشاعر في عمليته الإبداعية يصف المنظر أو ينقل الصورة أو يحاكي ما ينقل مع التركيز على فهم المحاكاة والآية على ذلك أن أي واحد من الشعراء الذين استشهد بهم النقاد وصنفوهم في خانة المقلدين"[1].

" بل الساطين على معاني غيرهم أو ألفاظهم أو هما معا ، نعتقد أنهم قد أدخلوا شخصياتهم ،أضفوا على العمل الشعري طبيعتهم، ولونوا هذه النصوص بتقاسيم تعبيراتهم فغدت جزءا منهم وإن استعانوا بطائفة من المعاني والألفاظ التي عاصرتهم أو سبقت أزمانهم " [2].

ثم يضيف " ومن الشطط في القول أن يزعم زاعم أن البحتري لم تخلده قصيدة (إيوان كسرى) وان المتنبي لم تنسب له قصيدة (قلعة الحدث) وان أبا العلاء المعري لم تهز قصيدته المتلقي، والتي خص بها رثاء الفقيه الحنفي، وإن ابن الرومي لم تكن قصيدته في وصف المرأة ذات جدوى عظيم، لان الأكيد هو أن هؤلاء وأمثالهم قد فجروا أحاسيسهم فتجسدت تعبيراتهم في كل بيت ، وهيمنت بناهم الإفرادية والتركيبية على المرسل إليه ، فأصيب بنوع من الذهول ليذوب لا شعوريا في جمالها"[3].

" ولن ندخل فيما أثر عن زعماء المدرسة الجمالية من تعريفات، ونكتفي بالقيل أن كل نص هو في الواقع لوحة فنية تعبيرية عن ذاتية وطبيعة صاحبها ، ولولا ذلك لما أثارت في المتلقي هذه النشوة التي يمثلها بعضهم باللذة ، وهذه الصفة الأخيرة سيطرت على تعاريف فرويد ، وكروتشيه، وبارث في تفسيرهم لجمالية التلقي والبث في النص "[4].

---

[1] النقد المغربي القديم في المغرب العربي ،ص 108
[2] المصدر نفسه . ص 108
[3] المصدر نفسه ، ص 108
[4] المصدر نفسه . ص108

من الواضح وحسب رأيي الشخصي أن هاته الفقرات وتبين رأي الكاتب في قضية السرقات، إذ يشرح ما يعتبره سرقة ، ويقول بأن هؤلاء الشعراء قد أدخلوا شخصياتهم على العمل الشعري وطبائعهم ، فأضحت منهم واعتبر شططا أن الشعراء القدامى اتهموا في شعرهم ، وإبداعهم ، إذ فسر الظاهرة بان ذلك مجرد تفجير المشاعر مع هيمنة البنى التركيبية الإفرادية ، ثم يعتبر العمل الأدبي لوحة فنية تعبيرية عن ذاتية وطبيعة صاحبها.

كما يحلل النصوص بشكل دقيق جدا كما هو الحال بالنسبة لهاته: " أثبتنا هذا النص _ على طوله _ كي يتضح المفهوم الحقيقي لنظرية عبد القاهر الجرجاني التي تعد ثابتة الجذور ، متينة الأصول في الثقافة العربية ،لأن فكر هذا الناقد وحكمه لهما مكانهما في الدراسات العربية والأوربية ولا سيما عند المستشرقين الذين احتكوا بالمفاهيم العربية في مجال الفكر والثقافة"[1]. "علما بأنه ركز اهتمامه كله على تثبيت قضية تعد جديدة على النقد العربي،لأن الذين سبقوه انشطروا في أحكامهم شطرين : فريق تحمس للفظ فنافخ عنه ، وفريق استهواه اللفظ وأثاره ، فأنجلب نحوه وسقط في بهرجته ، وذلك هو السر في أن عبد القاهر لم يثر جوانب أخرى لها دور في تذوق النص الشعري وتقويمه، ولا سيما ما يتعلق منه بالصوت والوزن أو الإيقاع "[2].

ويضيف هذا القول أيضا : " ففي هذا الأساس أو الركن الأول يحشد الصفات التي تنضوي تحت لواء الخير كما هو الشأن في غرض الزهد الذي لا يلجأ إليه الشعراء إلا في حالات خاصة تكون ناتجة عن صفاء النفس وتساميها وتوبتها إلى بارئها سبحانه وتعالى، فهذا الغرض عرف ازدهارا أكثر بعد بزوغ نور الإسلام، فمال إليه الشعراء تلقائيا أحيانا ، أو لم ينتبهوا له إلا في سن متأخرة من أعمارهم القصيرة وهو شعر في الواقع شمل مختلف الدواوين"[3].

[1] النقد المغربي القديم في المغرب العربي ، ص 22
[2] المصدر نفسه . ص22
[3] المصدر نفسه ، ص 42

" وكاد يطغى على الأغراض الأخرى عند بعض الشعراء ... لأنه الغرض الذي يخجل الشاعر من الخوض فيه للتكفير عن اللهو الذي غرق فيه، والهوى الجارف الذي عصف به . ففي إلقائه تنفيس عن الكربة ، وفي الاستماع إليه غسل لأدران السنين " [1].

ويعلق أيضا بقوله :" على أن مايهمنا هنا هو استخراج العناصر التي أثارها بخصوص مفهوم الشعر، إذ أنه بين أن أملح الشعر ما كانت عبارته موجزة ،وإشارته جلية لا لبسة فيها ولا إبهام، ومن المتفق عليه أن الغموض مرغوب فيه في الحقل الفني وشرط قوي من شروط وجوده ،ولكنه يجب ألا يفضي إلى تعمية تجعل المتلقي مذهولا إزاء ما يسمع ويقرأ، لأن تحقيق هذا الهدف يختصر كثيرا من الثرثرة ، و يبعد كثيرا من الزوائد الشكلية دلالة ومدلولا"[2].

ويشير النص الآتي إلى تمكن الكاتب من المصطلحات البلاغية ، فيورد مايلي :

"وليس لنا مانعلق به على هذا النص ، إذ إنه نص بلاغي محض لم يحفل بما في بيت الشاعر من مقومات أخرى، وإنما ركز كل عنايته على ما يشتمل عليه من مقابلة لا من نطاق، فهو يتناول ماعرف عند ابن المعتز وغيره من بديع ، لكن الناقد القيرواني أدرك معاني المصطلحات ،وهضم مختلف أبواب البلاغة ،فلم ينسب ماحقه أن يكون في باب إلى باب آخر توهما أو جهلا ، وهذا شيء ليس باليسير "[3].

" وفي سياق هذه الآلية المنهجية ، نستطيع أن نؤكد بأن تحديد الناقد محمد مرتاض للحقبة التاريخية وتخصيصها وتسميتها ،إنما هو في العمق تحيين لأفقها التاريخي الأول وإستعادة للزمن النقدي الأدبي المغربي في سيرورته الخاصة "[4].

والقصد من ذلك استعادته في أسئلة الحاضر وحاجياته ، ومنحه دلالات تتوافق ،وأفق أنتظارات الناقد محمد مرتاض في القرن العشرين .

---

[1] النقد المغربي القديمفي المغرب العربي. ص 42 . 43

[2] المصدر نفسه. ص 59

[3] المصدر نفسه . ص 156

[4] النص القدي وأسئلة المنهج ، تجربة محمد مرتاض النقدية نموذجاً،أحمد طايعي ، جامعة مولاي إسماعيل مكناس المغرب ، جامعة بوبكر بلقايد تلمسان ، مجلة الآداب واللغات ، العدد الواحد والعشرون ، 2014،ص 02.

وأرى أن المنهج النقدي عند الكاتب هو المنهج النصي الذي يعتمد على معالجة النص ، إنطلاقاً من سلطة النص ،وليس أن نفرض على النص أموراً خارجه يقول عبد الله ابراهيم " ان كل حقيقة تاريخية ما او غير تاريخية تختبئ وراءها حقيقة او حقائق لا يقولها المؤرخ سبب حسابات خارج تاريخية ، سياسية ، اجتماعية ، ايديولوجية ، حزبية ضيقة او حتى شخصية مباشرة تمس لبشراً ما يزالون على قيد الحياة ، وهذا المخفي تذهب نحوه الرواية دون سوابق لحفره عميقاً وجذرياً والبحث عن إجابات هي نفسها لاتعرفها "[1].

فلابد للروائي أن يكون أكثر منطقية في تناول التاريخ ، وتحويله الى مادة دسمة ، أسمها الرواية ، او الأدب ،أو الفنية ، أو الجمال ، أو العمل الروائي القائم على استلهام التاريخ وتحويله الى رواية ، فالرواية ليست التاريخ رواية ، ولا قابل للرواية ، إلا إذا تخلص من شوائبه وتم تصنيفه ، وينبغي جعل التاريخ طيعاً مرناً من أجل ألا يشبه التاريخ الواقعي ، فالتاريخ في الرواية جميل ، ولكن توظيفه بشكل صحي يكون أجملا.

" وعي جديد تفاعلاً مع الأفكار الوافدة "[2].

ومعنى هذا ، أن الكاتب فعلاً حدث له التفاعل ،والفعالية مع الأفكار الجديدة إذ أنه بوعي يسرب الجديد لينتج منه شيئاً نافعاً ، وهكذا فعل مع المناهج الجديدة ، ليصل الى المنهج الأكثر مرونة ،وطواعية في التعامل مع النص .

أحسب أن المنهج النصي هو المنهج النسقي بأمتياز يحفظ للنص سلطته ، ويضمن سلامة النص ، ويقتحم قواعده ، وهو ما يجعل من النص نصاً مفتوحاً للقراءات .

لعل من أهم الأسس التي يرتكز عليها النقد والأدب عموماً ، أن لايسلط على النص قواعد غريبة ، عجيبة خارج السياق ، وهاته القواعد مجهولة أول الأمر ، وغريبة عن أولويات النص

[1] الرواية والتاريخ ، عبد الله ابراهيم ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث ، مطابع دار الشرق ، قطر ،2006،ص 19

[2] في الأدب الجزائري الحديث (تاريخياً ،وانواعاً ، وقضايا و أعلاماً) ، عمر بن قنية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،ط2 ،2009،ص 12.

الذي هو علامة مفتوحة ،وفي نفس الوقت علامة وإيقونة مهمة ، تحتاج الى كثير من العناية والاهتمام .

أظن أن سطوة النص هي التي تجعل من النص نصاً أدبياً صارخاً ، يفرض هو قواعد من داخله ، وقوانين على الدارس ، وليس العكس ،فهذه هي المعادلة الصحيحة .

لنقل أن النص حياته من داخله وهي شريانه ، والمنبع الذي يزوده بالحصانة ضد كل متعدي عليه بالقوانين والقواعد .

ومن أمثلة المنهج النصي أو النسقي وقد سميت كذلك الأن النص والسياق هو الميزة التي تتماز بها وهذا عكس المناهج السياقية ، فهي سميت كذلك ، لأنها تفرض سياقاً وقواعد وقوانين قد تكون تاريخاً أو سياسة ، أو فكراً ، فترى هذه المناهج تفرض على النص مثل هذه السياقات ، ومن مثل ذلك المنهج التاريخي وغيره .

أما المنهج النسقي سمي كذلك لأنه منهجاً يفرض هو سلطته على القارئ وليس العكس .

من مثل ذلك المنهج السيميائي ، والمنهج البنيوي ، والمنهج الأسلوبي ، ومثلاً فالمنهج الأسلوبي يجعل النص ينطلق من سلطة النص ويعطي فرصة للنص من أجل أن يخرج كل إمكاناته ويكون مشعاً ،وان تكون له سلطة وسطوة .

أحسب ان المنهج النصي سمي كذلك لأنه سطوة من العطاء الداخلي وقوة كبيرة من العطاء الداخلي ، وكتلة وكثافة من الحمولات الداخل نصية تعطي للنص قوة وسطوة ، وسلطته تجعل من الدلالات والمعاني الداخلية الأصيلة والأثيلة هي مصدر جمال النص وأناقته ومصدر الانسجام والترابط والتموسق .

مثلاً المنهج الأسلوبي هو المنهج الذي يقوم على تحليل ودراسة أسلوب الكاتب من الكلمات وانتقاء للعبارات والألفاظ ، والكلام الذي يخص مؤلف معين ، فمثلاً تجد طه حسين

يقلل عن اسلوبه أنه أسلوب سهل وممتع ، وأسلوب العقاد معروف بأنه معقد ، ولكن هل فعلاً معقد ؟

لعل ما أرى أنه لكل أسلوبه هذا الذي يدرس المنهج الأسلوبي يدرس اختصاصات كل منهج على حدة وأحسب أنه يدرس كذلك ما يختص به أسلوب معين من إمارة معينة .

وأظن أن المنهج النصي النسقي عموماً أنه يدرس ، ويركز أهتمامه على النص وما يتميز به من صوت ،وصرف ونحو ،ودلالات وحقول وألفاظ .

وأظن أن مصطلح نقد النقد عند طه حسين " قد يكون من العقوق الثقافي أن يتناول متناول قضية النقد العربي ، في إي مفهوم من مفاهيمه ، وفي إي شكل من أشكاله ، دون أن يمر على طه حسين الذي هز الأدب العربي هزاً قوياً ، وقد يتجلى ذلك في كثير من أعماله النقدية "[1].

وأحسب أن طه حسين حسب رأي عبد المالك مرتاض أنه دفع الى الأمام عجلة النقد العربي ،وذلك من خلال تجربته النقدية القوية التي كانت بمثابة وثيقة ثقافية واجتماعية وسياسية ، خدم بها المعالم النقدية في العالم العربي و الاسلامي والغربي ، وقد ذاع صيته في أرجاء العالم ، إذ يعتبر أنه أيقونة في التجربة النقدية .

" ويمكن حتى ننصف الناقدين الذين نقدهما طه حسين ، في إطار نقد النقد (والرد على النقد وهو من صميم موضوع نقد النقد ....) أن نحتكم الى أي معجم لمصطلحات النقد الأدبي ونبحث فيه عن المصطلحات التي استعملاها في مقالتهما ، فباستثناء ، الصورة والعمل الأدبي ، وقد لا نعثر في مثل هذا المعجم على شيئ مما أستعملاه من المصطلحات أما مصطلحاً أسلوبي ، واللغة "[2].

[1] في نظرية النقد (متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها) ،عبد المالك مرتاض ، دار هومة ، 2005 ، ص235.

[2] المصدر نفسه ، ص 241.

أظن أن عبد المالك قد اعاد ترتيب ورسكلة ميادين المصطلحات النقدية في حقل النقد ، وذلك من خلال حفظه والدفاع عنه ، فالمصطلحات أو المفاهيم النقدية يجب مراعاتها لأنها تعطي للعمل الأدبي بهاء ورونقاً ، واحترام هذه المصطلحات النقدية في العمل الأدبي هو من قبيل الالتزام .

" إن الأراء متفقة على ان الناقد المبدع أحسن حالاً من الناقد غير المبدع ، علماً بأن الحكم على الناقد بأنه أديب فاشل وهو قتل لعملية النقد نفسها " [1].

يصف محمد مرتاض الناقد المبدع على أنه منتج لحكمة ما ، أو لمفاهيم إبداعية لأنه يركز على طبيعة العمل النقدي وضرورة خضوعه للإبداع في نقد النقد ويحث على ضرورة النقد المبدع وعلى الناقد أن يكون عميق الالتزام بقضاياه النقدية المعاصرة .

" ولعل من أجل ذلك نتنبأ لنقد النقد العربي أن يرقى الى المستوى المعرفي الرصين إذا رقي النقد العربي الى مستوى تأسيس النظريات ، وفي انتظار أن يكون شيئ من ذلك مستقبلاً ، فإن نقد النقد قد يظل محكوماً بطبيعة مستوى النقد الأول " [2].

أحسب أن عبد المالك مرتاض يهيب بالنقد العربي في أن يسجل حقه في النهضة وصناعة نقد النقد ولابد أن يحتل المكانة التي يستحقها فهو أصيل وأثيل له جذور تاريخية ضاربة في العمق .

" طبيعة مستوى نقد النقد الذي سيكتب عنه أنه أكبر آفة أصابت الفكر العربي المعاصر بحقوله المختلفة (الاجتماعية ، والأدبية والفلسفية وحتى السياسية) هي الاخلاد الى التقليد الذي لايدل

[1] السرديات في الأدب العربي المعاصر ، محمد مرتاض ، دار هومة للطباعة والنشر ، الجزائر ،2014، ص 18.
[2] في نظرية النقد ،ص 243.

إلا على القصور المعرفي ، والاستنامة الى تقليص صورة الآخر التي لا تدل على شيئ غير انفصام الشخصية العربية "[1].

أعتقد أن التقليد هو الآفة التي تصيب نقد النقد بسبب ضياع الأثار المعرفية ولأن الأمور لازالت مبهمة .

" بسبب افتقار المجتمع العربي الى التحولات الجذرية التي تحققت في الغرب في مجالاته المختلفة ، وبسبب اختلاف النقاد والمبدعين في تحديد بداية التحول الحاسم من الاتجاه التقليدي الى النزاعة الحداثية ، فإن هذا لن يمنعنا من البحث عن محاولة تعمل على تقريب وضعية الحداثة في أدبنا العربي سواءً في جانبها الابداعي أو النقدي " [2].

أحسب أن النقد العربي من أجل أن يكون له أمل في التقدم ، على النقاد والمبدعين أن يلتفوا حول كلمة واحدة هي النهوض بالنقد العربي وترك المساس بقواعده الفكرية لأنه قابل للتطور والتجديد والاستمرارية وهذا لايتأتى للنقد العربي إلا بترك التقليد .

" اما البحوث النفسية والتاريخية ، والجمالية فنكتفي منها بأنها إطاراً للعمل الأدبي ، تعين على فهمه وفق ظروفه ، ولكنها لاتغني عن مواجهة النص والحكم عليه بالنظر الى قيمه التعبيرية مباشرة ، وليس في اغفال لقيمة تلك البحوث وأهميتها ، فمن مجموعها يتألف نقد متكامل كامل يواجه العمل الأدبي من جميع نواحيه "[3].

أحسب النقد عند سيد قطب يعتمد على مؤسسة من الاتجاهات المختلفة والمتعددة من نفسية ،وتاريخية وبالتالي يكون التنوع والابداع .

[1] المصدر نفسه ، ص 243.
[2] نقد خطاب الحداثة في مرجعيات التنظير العربي للنقد الحديث ، لطفي فكري محمد الجوادي ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2010، ص 58.
[3] النقد الأدبي (أصوله ومناهجه) ،سيد قطب ، دار الشروق ،القاهرة ، ط8، 1924ه ، 2003 م ، ص 128.

" لقد ارتبط المنهج الجمالي بتغير النظرة نحو مفهوم الأدب والفن بعامة ، وصلتها بالحياة "[1].

ولعل هذا معناه عند الكاتب أن المنهج الجمالي تطور وارتبط أكثر بالحياة ، وارتبط بالواقع المؤلم والمر .

" التجربة الشعورية هي العنصر الذي يدفع الى التغيير ولكنها بذاتها ليست هي العمل الأدبي لأنها مادامت مضمرة في النفس لم تظهر في صورة لفظية معينة " [2].

أحسب ان سيد قطب في هذا قد ذهب الى ان التعبير يدفع للعمل الأدبي ، ويجر فعلاً الى قيمة العمل الأدبي ، وأصبح حالة من الضياع ، اذا لم يكن نابع من هذا أعني الأصيل ، فاصل العمل الأدبي أو الفني ، ذلك أجدى للعمل الأدبي وأكثر نفعاً للعمل الفني الذي يتطلب ذلك وأن ذلك من قبيل الوفاء للعمل الأدبي ، والصدق نحوه والمزيد من الإنصاف والوفاء للأدب وفنية العمل الروائي .

اضف الى ذلك ان في الحالة الشعورية أكثر من ذلك ، لأنه سوف يعطي مصداقية للعمل الروائي لانه فيه حضور للعاطفة وحضور للمتخيل في العمل الروائي وبالتالي فالشعور أكثر صدقاً من الحالة التي لا شعور فيها ، وينبغي ألا تغفل العاطفة أو الشعور ، فهي التي تعطي للمتخيل القوة والحقيقة والحضور القوي للشعور .

" لايتعلق النقد بالتجربة الشعورية في العمل الأدبي إلا حين تأخذ صورتها اللفظية لأن الوصول إليها قبل ظهورها في هذه الصورة محال ، ولأن الحكم عليها لا يتأتى إلا باستعراض الصورة اللفظية التي وردت فيها ، وبيان ما تنقله هذه الصورة إلينا من حقائق ومشاعر ومن هنا قيمة التغيير في العمل الأدبي " [3].

---

[1] فلسفة الجمال في النقد الأدبي ، (مصطفى ناصر نموذجا) ، كريب رمضان ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،2009، ص6.

[2] النقد الأدبي (أصوله ومناهجه) ، ص 7.

[3] المصدر نفسه ، ص 40.

أحسب أن فكر سيد قطب قد عالج قضية مهمة هي قضية التعبير ، وقد أشار الجرجاني الى قضية التعبير في كتابه دلائل الإعجاز ، وقد قال عن هذه القضية بأن اللفظة تكتسي وظيفتها ليس من كونها مفردة خارج السياق ، أو كونها لوحدها دون أي وظيفة ، ويرى أن اللفظة تكتسي أهميتها ووظيفتها المهمة والأساسية من خلال إنتظامها في السياق ، ومن خلال دخولها في النظم ، والتعبير .

وأظن أن التعبير وقوته تنطلق من اللفظة وما يمكن أن أهميته من مركبات اللفظة :

- الصوت .
- الصرف .
- النحو .
- الدلالة .
- التركيب .
- الحرف .

لعل أفضل مدعم لقوة التعبير في اللفظة هو وجود القوة التي في صميم اللفظة المراد توظيفها ، او تم اختيارها .

أظن أن قوة اللفظة هي الإضافة القوية للتعبير الأدبي أو الفني وهي ما يجعل التعبير قوياً .

والقوة التعبيرية للفظة تنبع ، وتشع ويطل منها الإشعاع الذي يملأ اللفظة والتعبير عموماً ، وبالتالي سوف تضيف ذلك على الأكد للتعبير .

ونفسه المعنى الذي أراده الجرجاني أن الدلالات تنبع من التراكيب وهي متوافقة ومتناسقة ومرتبطة ، وبينها هرمونيكا .

وهذا ما يجعل العبارة أو التراكيب قوية ، وناجحاً ، ومتميزاً ومتقداً وهنا سيد قطب أراد أن يقول أن التراكيب تستمر أيضاً جمالاها وإشعاعها من إنسجامها وترابطها .

هي فكرة جديدة / قديمة في التراكيب ، وهي فكرة تراثية أصيلة وعميقة في التراث والفكر والبلاغة العربية الأصيلة .

واللفظة القوية هي كل التراكيب الملتهبة جمالاً وتناسقاً ، وايماناً بقضية معينة هي قضية اللغة ، والدلالة ، والتناسق والجمال والتراكيب والعبارات ، والقضايا اللسانية من القديم الى الحديث .

ويقول سيد قطب في كتابه النقد الأدبي (أصوله واتجاهاته) : " وتستمد العبارات دلالتها في العمل الأدبي من مفردات الدلالات اللغوية للألفاظ ومن الدلالات المعنوية الناشئة عن إجتماع الألفاظ وترتيبها في نسق معين ، ثم من الإيقاع الموسيقي الناشئ من مجموعة إيقاعات الألفاظ متناغماً بعضها مع بعض ، ثم من الصورة والظلال التي تشعها الألفاظ متناسقة في العبارة " [1].

وأحسب أن سيد قطب يريد بهذا المعنى ان قوة الدلالة عبارة معينة مؤسسة على منشط هام هو الكلمات الواردة في التراكيب ومعانيها ، وانسجامها ، وترابطها هو ما يجعل ذلك محكماً ولعل قابلية الألفاظ يعطوا العبارة التراكيبدعماً قوياً من أجل النهوض بالفكرة وهو ما يجعل الانسجام والتآلف بين المفردات ، وأظن أن ثمة مرتكزات في نجاح التراكيب التي تبدأ من الاختيار .

[1] النقد الأدبي (أصوله ومناهجه) ، ص 49.

ويقول أيضاً : " وحين نحكم على قيمة العمل الأدبي من خلال العبارة لا يجوز أن نكتفي بدلالتها المعنوية ، فهي عنصر واحد من عناصر دلالتها ، فلابد أن نضم إليها عنصري الإيقاع والظلال ، فهي في مجموعتها تدل على القيمة الكاملة لهذا العمل " [1].

وأحسب هنا انه قام في نصه بإضافة عنصرين مهمين وأساسين لدلالة تراكيب العبارة وهما الإيقاع والظلال ، والمقصود عند سيد قطب بالإيقاع هو الموسيقى التي تكتنف التراكيب ، فالموسيقى هي ما يجعل التراكيب له روح وحياة و حرية ، وهو ما يكسر الرتابة والروتين ، وحالة الجمود ويخلق حالة من التجديد والاستمرارية.

ويطرح أيضاً قضية أخرى : " أن السياق هنا يطلق من هذه الألفاظ شحنتها وذكرياتها وصورها الخيالية وظلالها فتنشر في الجو أسى عميقاً ، وتكتم الأنفاس فيه وتثقلها ، وللألفاظ المفردة بغض النظر عن معناها الكامل في السياق ظلال مفردة تستمدها وراء الشعور ، من الذكريات والصور التي صاحبتها في تاريخها الشخصي والإنساني على الزمن الطويل ثم لها كذلك ظلالها ،وهي في نسق كامل " [2].

وأحسب أن السياق هو السبب الرئيسي الذي يعين على دفع الالفاظ والتراكيب ويستفز منها القوة والمتانة والتماسك .

وأن التراكيب من الفاظ وعبارات هما أساس السياق كذلك يضيف للتراكيب المرونة والجمال الذي يخطف العقل ولعل السياق هو روح التراكيب ووسيلة نجاح .

[1] النقد الأدبي (أصوله ومناهجه) ، ص 50
[2] المصدر نفسه ، ص 82.

خاتمة

ختاماً لهذا أنه آتى على ذكر بعض النتائج التي توصلت إليها من خلاله :

لعل الدرس الأدبي عند الكاتب حاول فيه ملامسة الجديد وتقديم قراءة عميقة للقارئ الجزائري والمغاربي بله القارئ العربي .

كما أظن أن الدرس النقدي عند الكاتب مقاربة النص النقدي ، وتقديم دراسة تجلي للقارئ أهمية الموروث النقدي عنده .

وأحسب كذلك أن جل أعماله كانت عبارة عن كتلة من الحمولات وكثافة من العصارات التي حاول الكاتب تقديمها لنا من أجل أن يحقق هدفه وهو دراسة الموروث الجزائري سواء أكان نقداً أو أدباً ، ولعل معظم هذه الدراسات كانت وثيقة أدبية ونقدية تثبت أن له قيمة دينية وصوفية كما هي نقدية وأدبية .

إن المنهج النقدي عند الكاتب هو المنهج النصي ، كما أن للكاتب فكر متزن ورصين ، وينماز بمسحة دينية وصوفية وإسلامية ووسطية ، وأن تجربته الأدبية والنقدية تتسم بالأصالة والأثالة .

وأحسب أن تجربته الأدبية أنه كان متجها اتجاهاً وطنياً ، ولعل القضية الوطنية التي عاشها الكاتب هي ما جعلته يروى تجربته الكفاحية .

وأظن أنه يملك القناعة الكافية وبعد النظر ، مما جعله يفك الخيط الفاصل بين الرواية والتاريخ ، وفصل بكل فلسفة بين المتخيل والتاريخ .

وأحسب أنه عمل على الالتزام العميق بالقضية الوطنية .

لعل الفسيفساء التي جعلها الكاتب موضوعاً في كتاباته النقدية أدبية كانت جديدة ، وأن كتاباته تعد وثيقة تاريخية حضارية ، فكرية ، إجتماعية ، ثقافية .

أعلنت تجربته في نقد النقد أنه صاحب فلسفة نقدية ومنهج نقدي ، كما له تجربة نصية مع المناهج النصية ، وأنه وضع نفسه في مناهج متعددة ومتنوعة .

كما أنه ركز في مسيرته العلمية في كتابه على شيئ جديد وهو الموضوع ففي كتابه النقد الأدبي في المغرب العربي ، وفيه عالج موضوع النقد المغربي فكان عربياً فحصره في المغرب العربي .

واظن أن هناك تجديداً في نقده الأدبي والتجربة الروائية على مستوى الموضوع والرؤية والشكل .

وأن طريقة التأليف عنده كانت محكمة من خلال التسلسل في طريقة كتابته ، وأيضا من خلال تلك السلسلة من الإحالات التى تحيلنا على الضمني والكامن والمستحيل والمرتقب ، والآت من زمن اللامحدود ، من زمن الماضي ، زمن الثورة والكفاح .

عندما تقرأ لمحمد مرتاض التاريخ والثورة والنضال ، نشعر باتساع الفترة الزمنية التى تغطيها بحركة سريعة دون أن تقف عند الوصف الطويل، وتبكي الذاكرة وتعبر بنا الزمن في لحظات خاطفة عبر سرعة التنقل بين الكلمات والعبارات ، لأن اللغة عند محمد مرتاض لغة شاعرية ، شفافة قوامها أنها تخترق أفق الانتظار لدى القارئ وتحول قراءته إلى علامات استفهام كبرى .

إن ناقدنا يرى في ضرورة تمسك المثقف العربي بالدفاع عن هويته الحضارية ، وقيمه اللغوية ، والدينية ، السبيل لتحقيق ذاته ووجوده وتسجيل مواقف إنسانية وإيجابية في مسار مجتمعه ، ومن هنا تشكلت رؤيته للفن الذي ربطه دوما بالحرية ، فهي التي تفجر عواطف الفنان ، وتفتح أمامه آفاقا عديدة وخاصة إذا تمكن من إحداث التوازن المطلوب بين الأصالة والتجديد ، وهذا ما يمكنه من تحقيق عمل فني صادق وأصيل يغير مواقفنا ، وينظم دوافعنا ويسمو بأذواقنا ومن هنا انعكست هذه الازدواجية على رؤية ناقدنا محمد مرتاض لوظيفة

الأديب الذي يطالبه بالجمع بين القومية والإنسانية وتجاربه الذاتية لتنصهر بذلك معالم الفردية والجماعية في العمل الأدبي الواحد .

وظيفة النقد عنده لا تقتصر على إبراز القيم الاجتماعية أو الفكرية ، وإنما تتعدى ذلك إلى الاهتمام بالكيفية التي صيغ بها العمل الأدبي والطريقة التي كتب بها ، فهو إذن يدعونا للبحث عن القيم الإنسانية والجمالية في النص دفعة واحدة .

إن تتبعنا لمساره النقدي بمراحله المتعددة ومساراته المتداخلة يؤكد لنا بأن رؤيته النقدية سواء في منطلقاتها النظرية أو في مقارباتها التطبيقية ، مرت عبر مخاض عسير تلاقح فيه التراث العربي بالنظرات الغربية ، وهذه الرؤية في رأينا هي محصلة طبيعية لثقافة ضخمة وتوجه حضاري لناقد لا يتنكر للذات العربية ولا يستغرق في ثقافة الآخر .

كما أن طبيعة النقد عنده تتلخص في تفسير جمال العمل الإبداعي وإظهار رؤية مبدعة للوجود وطريقته في التعبير ،ومن هذا أصبح النقد لديه عملية تفسير للعمل الأدبي يسعى فيها الناقد إلى مساعدة القارئ في الفهم والاستيعاب وهو برصده العميق لواقعنا النقدي وبتوقعه للأسباب حاول أن يحدد لنا الطريق السليم للخروج من هذه الأزمة من خلال تحديده لمعايير العمل النقدي الجاد .

لقد اعتمد الكاتب مقاربة تاريخية تحقيبية، كانت هي الأساس في معظم تآليفه، ثم أعقبها بمختارات أدبية من النثر ومن الشعر، حتى تتضح الصورة الأدبية التي رسم إطارها التاريخي، وحتى يبرز تميز كل من الشعراء والأدباء المركز عليهم.

ويعتبر ما قدمه الكاتب من عطاء علامة فارقة في إرساء دعائم النقد ، والتأسيس لنشأة الدراسة الأدبية وتبدأ منها مرحلة التأسيس والنضج؛ ولأنه قد استوعب مختلف المجهودات التي بذلت قبله، فاستفاد منها وأضاف إليها؛ ما أعطى لجهوده الأدبية والنقدية الاتساع، والرؤية الواضحة.

وتكشف الروايتين عند الكاتب عن مقومات الإنسان الجزائري ، وعن ثقافته الوطنية،كما نلمس من خلال الروايتين تشبع الكاتب بالروح الإسلامية والتفكير الواعي والمدرك.

أما عن العناوين التي اختارها الكاتب لروايتيه فهي ، وتوحي بالبعد الوطني، وتومئ بمسحة الروايتين بالوطنية وما يلاحظ من خلال الروايتين تفاعل الشخصية مع المضمون، ناهيك عن تواطؤ الزمن والمكان مع المحتوى .

أما اللغة فقد اتسمت بالمسحة الدينية والصوفية ؛فنجد الألفاظ والتعابير -مثلاً- مقتبسة من القرآن، بالإضافة إلى تعزيز قوة هاته اللغة بالأشعار، وهذا يدل على تشبع الكاتب بالقرآن الكريم ، والتراث الإسلامي.

وفي الأخير أحسب أن رؤية محمد مرتاض النقدية ؛ إذ يمزج بين التراث النقدي العربي وينفتح على النقد الجديد ،وهذا ما يطبع منهجه النقدي أيضا؛ إذ استفاد فيه من التراث القديم والبلاغة العربية دونما إغفال للنقد الحديث .

ملخص

ملخص البحث:

عرضت للتجربة الأدبية للكاتب في روايتيه ثمن الحرية وأخيراً تتلألأ الشمس كما وقفت على التجربة النقدية عند الكاتب فتناولت فيها :

- النقد الأدبي عند الكاتب عبر كتابه شعر الفقهاء في المغرب العربي.
- ثم كتابه مفاهيم جمالية فالموضوعاتية في شعر الطفولة .

وفي الأخير عالجت تجربة نقد النقد عنده عبر كتابه النقد الأدبي في المغرب العربي .

***Résumé**:*

Proposé pour l'expérience de l'écrivain à l'écrivain en Raite le prix de la liberté et le soleil brille enfin comme elle se tenait par l'expérience monétaire quand l'écrivain les saisit:

- La critique littéraire quand l'écrivain à travers ses savants cheveux dans le Maghreb.

- Ensuite, ses concepts esthétiques Vmodoatih cheveux enfance. Dans les récentes critiques de la critique sur l'expérience qu'il a traité son livre de la critique littéraire au Maghreb.

ملحقات

1- السيرة الذاتية والعلمية لمحمد مرتاض.

2- جدول الزمن والمكان في رواية ثمن الحرية.

3- جدول الزمن والمكان في رواية وأخيراً تتلألأ الشمس .

4- جدول سرعة السرد في رواية ثمن الحرية .

1-السيرة الذاتية والعلمية لمحمد مرتاض.

ولد "محمد مرتاض" في 18 فبراير 1941 ، بمسيردة الفواقة ولاية تلمسان ،ناضل بصفوف جيش التحرير الوطني برتبة ضابط من سنة 1959 إلى يناير 1963 ، وقبل أن يلتحق بالمدرسة ثم الجامعة تلقى تعليمه على يد والده الحاج الأستاذ "سيدي عبد القادر بوطالب "– طيب الله ثراه وبّرد ضريحه – حيث حفظ القرآن الكريم. [1]

كما تلقى على يده الشريفة علم النحو متمثلاً في الألفية والأجرومية ولامية الأفعال وعلم الفرائض، وحفظ تحت إشرافه أيضاً مصنف ابن عاشر في الفقه والشعائر والتصوف، ثم السنوسية الصغرى للولي المتصوف سيدي محمد السنوسي دفين تلمسان، وابتدأ معه في مصنف خليل، ومبادئ البلاغة العربية ، وحفظ تحت إشرافه ورعايته كثيراً من الشعر العربي في طليعته لامية العرب ، ولامية العجم. [2]

التحق بصفوف الثورة الجزائرية وعمره لما يتجاوز السابعة عشرة ، وظل مناضلا مجاهداً في صفوفها إلى أن وضعت الحرب أوزارها .[3]

ما يلاحظ في هذه السيرة الذاتية، أن المؤلف تشبع بالمنابع الإسلامية والعربية ،إذ ارتوى الكاتب من القرآن الكريم ،وتزود بالأصول العربية من شعر وغيره ،وتلقى مختلف العلوم و حفظ مصنفات مختلفة ومتنوعة .

-السيرة العلمية " لمحمد مرتاض ": [4]

تحصل الكاتب على عدة شهادات منها :

-شهادة الليسانس – أدب عربي-

-شهادة الكفاءة في التربية وعلم النفس.

1- ينظر، السيرة الذاتية والعلمية . مخطوط، محمد مرتاض، ص 1 .
2- ينظر، السيرة الذاتية والعلمية . ص1.
3- ينظر، السيرة الذاتية والعلمية . ص1.

-شهادة الكفاءة للتعليم الثانوي.

-شهادة المناهج في الأدب.

-شهادة الماجستير في الأدب.

-دراسات أدبية ونقدية في الأدب العربي.

2- جدول الزمن والمكان في رواية ثمن الحرية.

الارتداد	الاستباق
-"تقدم إلى الحاكم أكثر من مرة يطلب العمل فلم يعره اهتماماً ... فكر وقدر، ثم امتهن هذه الحرفة التي تجلب له على الأقل بعض القوت لأفراد عائلته !". [1] **-" كان يبوح لها بمختلف ما يشاهده في الأسواق أو البيئة، كم مرة كلفته ببيع البيض خفية عن زوجها فكان يبكر به ويبيعه لها بفرنكات معدودات تستعين بها على إكرام من هم أكثر حاجة إليها منها ...كان يحدثها عن أفعال مضحكه فكانت تطمئن إليه وترتاح إلى حديثه".**[5] **-" كم تلذذ بلبن أنعامها، وتمتع بكرام أهلها! لقد جنى مع إخوانه فيها حبات اللوز الخضراء وهي فريك وأكلوا من رمانها و تفيأوا أصيلا بظلها الظليل !"...** [6]	**-"وكان يقول له أنه سيتزاوج أجمل واحدة في الدشرة على حين أنه كان يسمع منه فيعجب بحديثه، ويتمنى هو من جهته أن يتزوج من ابنة عمه كلثوم ذلك كان أمله".**[2] **-"استيقنوا من أن الاستقلال لا بد منه".**[3] **-"وسيكون هناك من يخترق اسمنته المسلح فالشجاعة تفتت الحديد وتلينه ...".**[4] **-" فإن تلك القمة تغطي بجيش من الأعداء الذين كانوا يقومون بحركات تخويفية ويتظاهرون باستعراض عضلاتهم إزاء الشعب الأعزل !...".**[7]

1- ثمن الحرية. محمد مرتاض، ص.12

2- المصدر نفسه. ص 69، .70

3- المصدر نفسه. ص.70

4- المصدر نفسه. ص58.

5- المصدر نفسه. ص 29،.30

6- المصدر نفسه. ص.58

7- المصدر نفسه. ص26.

-" كان الحارس الرهيب يأتيه بإناء يقدمه له يحاول استرضاء يشيح عنه الميلود بوجهه يبقى الحارس وحده إنك إن لم تطعم نفسك فمن الذي سيخسر ؟ ويرسل قهقهة عالية كأنه قرد صغير، ثم يشغل سيجارة وهو يحدث صليلاً بالسلاسل والأغلال التي في يده إلا أن الميلود يظل يهمس ببعض ما حفظه من كتاب الله ليس خوفاً من الحارس ، ولكن بسبب ما لحقه من عذاب مهين، وما أصاب نفسه من علة ووصب ".[1] -" أما هو فآثر أن يؤدي صلاته بالتيمم وكان يطيل الدعاء في كل سجدة ". -" كانوا يتنافسون خلال فصلي الشتاء والربيع أيهم يحصل منه على قدر أكثر ؟! ظلوا يجمعون الأعشاب ويلمون خشاش بعض الأشجار، يشمونه لعله يكون بلوطاً جافاً فكروا في القبض على بعض الحيوانات لشيها خفية في بعض الوهاد أو رؤوس الجبال ليس ثمة شيء يذكر " .[2]	-" سيخبركم بخروجه، وحين ترون السيارة التي تحمله ،تهاجمها فرقة شعبان، أما فرقة عبد الله فتجتاح مدخلها عنوة لتخلص الفدائي".[3]

1- ثمن الحرية. محمد مرتاض. ص34.

2- المصدر نفسه. ص48.

3- المصدر نفسه. ص48.

3-جدول الزمن والمكان في رواية وأخيراً تتلألأ الشمس.	
الارتداد	الاستباق
-"الجزائريين كانوا كلهم إبّان الثورة يفهمون بالإيحاء ، ويدركون الغرض باللمح الخفيف أو الإيماءة ولو لم يكونوا على هذا النحو من الاستعداد والذكاء ، لما كان لتلك الثورة الجبارة التي أدهشت العالم أن تنتصر ".[1] **-"راودته أحلام ... كيف سيصنع بالعدو ... كيف سينبطح ويلقي بقذائف مدفعه على المخابئ وهم يغربون عن وجهة مولّين الأدبار ،وهو يتعقبهم بما يملك من سلاحي الإيمان والبسالة "[2]**	**- "وعلّي أن اشترط ذلك يوم ترتفع الراية خفّاقة ،وسأتقدم عندئذ إلى الدولة بمطالبي " .[3]** **- "لم لا يرتدي بدلة قماشية خضراء، أو زرقاء** **- أو هي خليط منهما معا، كتلك التي يزين بها المجاهدين ؟ ...لماذا لا تكون له بندقية ، ورشاش ؟ ... بل مدفع هاون، حتى يقضي على الكلاب الضارية الجائعة التي نجستأرض الجزائر الطهور، وانتهكت حرمات مقدساتها ". [4]** **- " رأى نفسه كيف أنه صغير وهو بصحبتهم ينجر ،يوشك أن يلحق بخطواتهم ... أجهد نفسه وشق عليها ، فألفاها بين مخاطر محدقة ، ومهاول محققة لا ينجيه من الغرق فيها إلا الجرأة والإقدام والبسالة "[5]**

1- وأخيرا تتلألأ الشمس . ص .32.
2- المصدر نفسه .ص .30
3- المصدر نفسه .ص37.
4- المصدر نفسه .ص36 .
5- المصدر نفسه .ص39 .

	-"فبأي جديد ستعود الذكرى في العام المقبل ؟ باستقلال الجزائر التام ، وبالحرية الكاملة ، وبظهور الراية الخفاقة المرفرفة على ربوع وطني الحبيب ، أم بنعي زوجي الغالي وامتداد اجل الثورة ؟ **...أظن أن الحل الثاني هو الذي سيكون".[1] "فإذا هي ترى زوجها متزينا بثياب خضراء قشيبة ... أرادت أن تدنو منه ...كان يطير بجناحين في الهواء كطائر جميل خفيف ... نادته ...فتحت ذراعيها لتحضنه ... لم يلبّ طلبها لم يحفل بندائها ، لم يكترث لحسراتها وآهاتها ...انطلق عالياً فظلت تشيعه ذاهلة وهو يتوارى عنها".[2]**

1- وأخيرا تتلألأ الشمس. ص63 ،64..

2- المصدر نفسه. ص64

4 - جدول سرعة السرد في رواية ثمن الحرية .

الإيجـــاز	القطـــع	التـــوقف	المشهـــد
- " بعد نضال مرير توصل هو وأصحابه إلى الحصول على بعض الحقوق المدنية كالاستماع إلى المذياع وزيارة لأقارب لهم ودخول الجرائد وبعض المجالات عليهم وصلتهم أنباء السابع عشر أكتوبر 1960 حين تظاهر الجزائريون في فرنسا احتجاجات على المجرمين الفرنسيين أخبار المظاهرات العارمة للشعب الجزائري كله في الحادي عشر ديسمبر 1960 اغتبطوا لكل الذي يقع استيقنوا من أن الاستقلال لا بد منه" [1]	-" أخذ إلى السجن تنوعت معه طرائق التعذيب والتنكيل أو شك عذابه أن يكون شبيهاً بعذابات أخيه" . [2]	-" كان محمد يعمل ليلاً ونهاراً من أجل الثورة، يخصص بياض نهاره للتعرف على أماكن استراتيجية جديدة، أو لمراقبة الاستعمار وهو يحفر ويحصن مراكزه لمخابئه العديدة، أو يزرع الموت الزؤام بألغام مختلفة الحجوم والأشكال " [3] . -" فلاح بسيط الثقافة يتابع الأخبار عن طريق مذياع اشتراه من فرنسا منذ أزيد من أربع سنوات، يعالجه ببطارية كبيرة ". [4] -" وهي تقاوم عواطف الأمومة، ودموع الفرقة، ونيران الحرقة ألفته يقظاً سمع كل شيء دلفت منه وعانقته بحرارة لم تملك معها عبراتها أن انتشرت على خديه قبلتهما لم يقاوم شؤونها الساخنة فأسال من محجريه دمعتين، امتزجتا مع دموع والدته ". [5] -"ما حيلتنا ووطننا يريدنا جميعاً أن نقوم بالدفاع عنه ؟ ما قولنا للحرية	-" هذه ابنتي أقدامها لك، وهذا جارنا يا ابني ما اسمك يا ولدي ؟ وتوفيق نزل بالقرب منا منذ قرابة شهر، كما أخبرتني بذلك أمك قبل قليل قال توفيق: تشرفنا،و أجابت فريدة: لنا الشرف العظيم، بمعرفة جارنا" . [6]

1 - ثمن الحرية، ص 70.

2 - المصدر نفسه. ص 69.

3 - المصدر نفسه. ص 16.

4 - المصدر نفسه. ص 14.

5 - وأخيراً تتلألأ الشمس ص .51

6- المصدر نفسه. ص 28،29.

		المفقودة وهي تنادينا كل يوم أن نسترجعها؟ رفعت فريدة الحنون رأسها إليه، وقالت في صوت يخنقه البكاء لن أحول وبينك وبين ما أنت عازم عليه أنا أيضاً جزائرية" [1] -" أما الزوج اليافعة الشباب فقد كانت تقاسي الأمرين من الوحدة وتكابد العذاب من العزلة وبلغ بها الأسى مبلغه، فودت أن لو لم تلدها أمها حتى لا تتعذب هكذا ، ولا تتجرع كؤوس العلقم في صمت " .[2]	

1 - وأخيراً تتلألأ الشمس. ص 61.

2 - المصدر نفسه. ص 61.

القرآن الكريم برواية ورش.

المصادر:

1.الخطاب الشعري عند فقهاء المغرب العربي .محمد مرتاض ,دار الأوطان, الجزائر,ط1 ,2009 .

2. التجربة الصوفية عند شعراء المغرب العربي في الخمسية الهجرية الثانية. محمد مرتاض ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 2009.

3.ثمن الحرية .محمد مرتاض .دار البحث ،قسنطينة ط1،1987.

4 . السرديات في الأدب العربي المعاصر ، محمد مرتاض ، دار هومة للطباعة والنشر ، الجزائر ،2014

5. السيرة الذاتية والعلمية . مخطوط، محمد مرتاض.

6. من قضايا أدب الأطفال (دراسة تاريخية فنية). محمد مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.

7.الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري (عند: الغماري – ناصر- حرز الله- مسعودي). محمد مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1993.

8. النقد الأدبي القديم في المغرب العربي(نشأته وتطوره – دراسة وتطبيق) .محمد مرتاض، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 2000.

9وأخيراً تتلألأ الشمس . محمد مرتاض، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، طبعة 1999.

المـــراجع :

10. التناص ،عبد الجليل مرتاض ،ديوان المطبوعات الجامعية ، 12،2011 ، الجزائر ،دط

11.الأدب الجزائري المعاصر . محمد صالح الجابري ، دار الجيل، الطبعة 1 ، 1426 هـ -2005.

12.الأدب الجزائري المعاصر. محمد صالح الجابري، دار الجيل، تونس، ط2، 1426هـ - 2005م.

13.بلاغة الخطاب وعلم النص. صلاح فضل، مكتبة لبنان ناشرون/ الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط1، 1996.

14. بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري (1970- 1986). بشير بويجرة محمد، دار الغرب للنشر والتوزيع ط1، 2001، ج1.

15. البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة (*1974- 1985 /* دراسة.شريبط أحمد شريبط)، اتحاد الكتاب العرب ،د ط ، *1998*.

16. تحليل الخطاب السردي (معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق). عبد المالك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، د ط ، د ت.

17. تحليل الخطاب السردي وقضايا النص ،عبد القادر شرشار ،دار القدس العربي ،الجزائر ،ط*1*،*2009*

18. تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصر (*1947- 1985 /*دراسة). شريبط أحمد شريبط اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، *1998*.

19. تطور الوعي في نماذج قصيدة فلسطينية. أمل زين الدين وجوزيف باسيل، دار الحداثة، ط*1*، *1980*.

20. تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية. إبراهيم عباس، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار ، د ط، د ت.

21.تقنيات الفن القصصي (عبر الراوي والحاكي). أحمد درويش، مكتبة لبنان، ط*1*، *1998*.

22. تيار الوعي في الرواية الحديثة. روبرت همفري، تر: محمد الربعي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة د ط، *2000*.

23. جماليات الرواية المعاصرة. مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة، ط، د، ت.

24.الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض (البحث في المنهج وإشكالياته). يوسف وغليسي، رابطة إبداع الثقافة ، الجزائر، د ط، *2002*.

25. دراسات في الأدب والفكر. محمود السمرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط*1*، *1993*.

26. دراسات في النقد الأدب. محمد مصايف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، *1981*.

27.دراسات في النقد والأدب. محمد مصايف، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر د ط، *1981*.

28.الرواية العربية (النشأة والتحول) .محسن جاسم الموسوي، دار الأدب، بيروت ط*2*، *1998*.

29. الرواية والتاريخ ، عبد الله ابراهيم ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث ، مطابع دار الشرق ، قطر ،*2006*.

30.الرواية والتحولات في الجزائر (دراسات نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية). مخلوف عامر ،اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، دط ، *2000*.

31. رياح الانشطار (قضايا ومعارك أدبية ونقدية) .صبري قنديل، دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط*1*، *2002*.

32.شظايا النقد والأدب (دراسات أدبية). عمارية بلال – أم سهام، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، *1989*.

33. الشعر الجزائري الحديث (اتجاهاته وخصائصه الفنية *1925-1975*). محمد ناصر، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط*2*، *2006*.

34. الشعر الوطني الجزائري بين حركة الإصلاح والثورة (دراسة). عبد جاسم الساعدي، التبيين / الجاحظية، الجزائر، د ط، *2002*.

35.شعراء وتجارب نحو منهج تكاملي في النقد التطبيقي. صابر عبد الكريم، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر / الإسكندرية مصر، ط*1*، *2001* .

36. صورة الفرنسي في الرواية المغربية. عبد المجيد حنون، ديون المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط،دت.

37.عالم القصة .برنار دي فوتو، تر: محمد مصطفى هدارة، عالم الكتب/ مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة/ نيوبورك، د ط، *1969* .

38.العمدة(في محاسن الشعر وآدابه ونقده). لأبي علي الحسن بن رشيق، تحقيق: عبد الحميد نواوي المكتبة العصرية، بيروت د ط ط4 ، 142هـ 2004م ج1.

39.عنصر التراث الشعبي في اللاز. عبد الملك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر د ط، د ت.

40.عودة خطاب الحكاية. جيرار جينيت، تر: محمد معتصم ،المركز الثقافي العربي، ط1، 2000.

41. فلسفة الجمال في النقد الأدبي ، (مصطفى ناصر نموذجاً) ، كريب رمضان ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،2009

42.فصول في النقد الأدبي الجزائري الحديث (دراسات ووثائق). محمد مصايف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1981.

43.فنون النثر الأدبي في الجزائر (1931-1954). عبد الملك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1983.

44. في الأدب الجزائري الحديث (تاريخياً ،وانواعاً ، وقضايا و أعلاماً) ، عمر بن قنية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،ط2 ،2009

45.في الأدب الجزائري الحديث (دراسة). أحمد دوغان، اتحاد الكتاب العرب، د ط، 1996.

46.في الرواية والقصة والمسرح (قراءة في المكونات الفنية والجمالية السردية). محمد تحريشي ، د ط ،د ت.

47.في الرواية العربية(عصر التجميع). فاروق خورشيد، دار العودة، بيروت ط3، 1979.

48.في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد).عبد المالك مرتاض ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت د ط 1998.

49. في نظرية النقد متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها ،عبد المال مرتاض ،دار هومة ، الجزائر ،2005

50.القراءة (تأسيس النظرية العامة للقراءة الأدبية). عبد الملك مرتاض، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، د ط، د ت.

51.قراءات في القصة الجزائرية. أحمد منور، مكتبة الشعب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع د ط، 1981.

52.قراءات نقدية في القصة المعاصرة. ثناء أنس الوجوه، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، عبده غريب القاهرة، دط 2000 .

53.القصة الجزائرية المعاصرة. عبد الملك مرتاض، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط2، دت.

54.قضايا السرد عند نجيب محفوظ . وليد نجار، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1985.

55.مباحث في الأدب الجزائري المعاصر . شريبط أحمد شريبط ، اتحاد الكتاب الجزائريين ، الجزائر ،ط1، 2001.

56.متابعة في الثقافة والأدب (دراسة). مخلوف عامر، اتحاد الكتاب بالجزائريين ط1، 2002.

57.المتخيل في الرواية الجزائرية (من التماثل إلى المختلف). آمنة بلعلى، دار الأمل ،تيري وزو، دط، دت.

58.مدخل إلى نظرية القصة (تحليلاً وتطبيقاً). سمير المرزوقي وجميل شاكر، الدار التونسية للنشر وديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر د ط، د ت.

59.معنى المأساة في الرواية العربية. على شكري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1400هـ1 1980.

60.من أسرار الإبداع النقدي في الشعر والمسرح . سنامي منير عامر، منشأة المعارف، مصر د ط، 1987.

61.النص الأدبي من أين ؟ وإلى أين ؟ . عبد المالك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1983.

62.نظرية الرواية(دراسة المناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة).السيد إبراهيم ،دار قباء، عبده غريب ، القاهرة، د ط، د ت.

63.النقد الأدبي (الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب) . جابر عصفور، دار الكتاب المصرية /دار الكتاب اللبناني، القاهرة/ بيروت، ط1، 1424هـ.

64. النقد الأدبي (أصوله ومناهجه) ،سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، ط8، 1924هـ ، 2003 م.

65.النقد الأدبي الجزائري الحديث. عمار زايد، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، د ط ، 1990.

66.النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية. يوسف وغليسي، إصدرات رابطة إبداع الثقافة الجزائرية، دط ، 2002 .

67.النقد والدراسة الأدبية. حلمي مرزوق، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر ، 2004.

68.نقد الرواية (من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة) . نبيلة إبراهيم، مكتبة غريب، القاهرة، د ط، دت.

69. نقد خطاب الحداثة في مرجعيات التنظير العربي للنقد الحديث ، لطفي فكري محمد الجوادي ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2010

70.نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1925- 1954).عبد الملك مرتاض ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1983.

المعاجم والموسوعات:

71.ديوان الأدب (معجم لغوي تراثي) .أبو إبراهيم الفرابي ، تر و تح :عادل عبد الجبار الشاطبي ، مكتبة لبنان ناشرون ،د ط ،2003 .

72.لسان العرب ،ابن منظور ،دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ج3 .

المجـــلات

73.الفضاء المغاربي. جامعة تلمسان ،العدد الثالث السنة الرابعة شعبان 1425هـ/ سبتمبر 2005م.

74. النص النقدي وأسئلة المنهج ، تجربة محمد مرتاض النقدية نموذجاً ،أحمد طايعي ، جامعة مولاي إسماعيل مكناس المغرب ، جامعة بوبكر بلقايد تلمسان ، مجلة الآداب واللغات ، العدد الواحد والعشرون ، 2014

75.الفضاء المغاربي. جامعة تلمسان، العدد الثاني، السنة الثالثة صفر 1425هـ/ أفريل 2004م.

76.المجلة العربية للعلوم الإنسانية. مجلس النشر العلمي، الكويت، العدد 59، السنة 15، 1997.

77.مجلة الآداب ، قسنطينة ، العدد 02، 1416هـ -1995 .

78.الموقف الأدبي. اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد 377. السنة 32، أيلو 2002 جمادى الأخرى – 1423.

مراجع بالفرنسية:

79.La Révolution Romanesque , Michel Zéraffa ,Union générale d'édition , paris, 1972 .

80.Les catégories du récit littéraire .Tzevétan Todorov , in communication 8 , coll édition du seuil ,paris,1981.

مسرد المحتويات

الفـاتحة

الإهـداء

كلمة الشكر

مقدمـة.....أ

الفصل الأول: الجهود الروائية عند "محمد مرتاض".

رواية "ثمن الحرية"(المضامين والبناء الفني)

أولاً : موضوعات ومحاور رواية "ثمن الحرية".....13

1-1: قصة الإنسان الجزائري مع الأرض.....13

2-1:الالتزام العميق بتحرير الوطن.....15

3-1: إدراك الإنسان الجزائري ونضج تفكيره يسلمه لحياة الحرية.....17

ثانياً: فنـيات روايــة "ثمـن الحرية..... 18

1-2: الأحداث.....18

2-2: الشخصيات.....20

3-2: اللغة السردية 24

4-2: الزمن والمكان.....28

ثالثاً: مميزات رواية "ثمن الحرية". 31

1-3: تفاعل مضمون رواية "ثمن الحرية" مع البناء الفني.....31

2-3: تميز اللغة الروائية.....34

رواية "وأخيراً تتلألأ الشمس" .

أولاً : موضوعها......38

1-1: المجتمع ووعيه بالواقع الوطني.....38

2-1: مساندة المجتمع للثورة 47

3-1 القضية الوطنية 58

ثانياً: عنوان روية "وأخيراً تتلألأ الشمس" وأحداثها وشخوصها......76

2-1: العنوان 76

2-2: الأحداث 77

3-2: الشخصيات**.....**77

ثالثاً: "وأخيراً تتلألأ الشمس" : اللغة – الزمن – والمكان......80

3-1: اللغة السردية.....80

2-3: الزمن 82

3-3: المكان 82

خصائص الخطاب الروائي لدى محمد مرتاض .

اولاً : المضمون.....85

1-1: ذاكرة التاريخ.....85

2-1: صورة الوطن و الثورة في "وأخيراً تتلألأ الشمس " و " ثمن الحرية " 87

ثانياً: الشكل......88

1-2: الأشكال السردية.....88

ثالثاً: خصائص الأشكال السردية في "وأخيراً تتلألأ الشمس" و "ثمن الحرية.....90

رابعاً: التقنيات السردية......92

1-4: الأوجه السردية 92

2-4: سرعة السرد.....95

الفصل الثاني: جهود " محمد مرتاض " في النقد الأدبي .

اولاً : جهود "محمد مرتاض"في نقد شعر الفقهاء وأدب الأطفال .

1-1: عرض كتاب الخطاب الشعري عند فقهاء المغرب العربي 98

1-2:عرض مؤلفات محمد مرتاض عن أدب الطفولة 103

2-2: الطفولة والقيم 103

3-2: الطفولة و الشعر 111

4-2: الطفولة و إشكالية الكتابة 115

5-2 : القيم الدينية:.....118

6-2: القيم الوطنية 119

7-2 : القيم البيئية 121

8-2 : الصورة في أدب الطفل 123

9-2: أدب الطفل وأنواع الفضاء والزمن 126

10-2: المفردات والأسلوب في أدب الطفولة. 128

ثانياً :المفاهيم الأدبية والنقدية عند محمد مرتاض.

1-1 : المصطلحات الأدبية الواردة عند محمد مرتاض.....131

1-2:المصطلحات النقدية الواردة عند محمد مرتاض..... 138

ثالثاً: المنهج النقدي عند محمد مرتاض.....140

الفصل الثالث :جهود محمد مرتاض في نقد النقد .

أولاً :عرض كتاب النقد المغربي القديم 150

ثانياً :القضـايا النــقدية 160

ثالثاً:المنــهج النــقدي 163

الخاتمـة 177

ملخــص 182

ملـــــحقات.....185

مسرد المصادر والمراجع.....194

مسرد المحتويات 205